الحركة الأباضية فى المدينة المنورة

(١٢٩ - ١٣٠هـ / ٧٤٦ - ٧٤٧م)

دكتـــورة

صفاء حافظ عبد الفتاح

أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد

بكلية آداب بنها

١٩٩٥م



بسم الله الرحمن الرحيم



مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين . وبعد :

ما كاد أهل المدينة المنورة يعلمون باستيلاء الخوارج الأباضية على مكة خلال موسم الحج سنة (١٢٩هـ / ٧٤٦م) ، حتى هبوا لتلبية دعوة الوالى الأموى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، فكونوا جيشًا كبيرًا منهم، لدرأ الخطر الأباضى عن بلاد الحجاز .

والأباضية إحدى فرق الخوارج التى ظهرت فى البصرة ، على إثر انقسامهم إلى معتدلين وغلاة سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م) وعلى الرغم من اتجاه هذه الفرقة للاعتدال والبعد عن التطرف فى عقيدتها المذهبيه ، وجنوحها للمسالمة وعدم مناوئه السلطات الأموية ، إلا أن هذه الفرقة نجحت فى إقامة تنظيم سرى محكم فى البصرة ، يعتمد على خروج الدعاة " حملة العلم " إلى الأمصار الإسلامية المختلفة لنشر المذهب الأباضى والدعوة لإسقاط خلافة الأمويين للتخلص من ظلمهم وجور ولاتهم ، وإقامة إمامة أباضية تحكم بالعدل بين الناس .

وفى أواخر العقد الثالث من القرن الثانى الهجرى استغل شيوخ الأباضية وزعمائهم ضعف الدولة الأموية ، وتراخى قبضتها خاصة فى الأطراف ، فتمكنوا من الانتقال بدعوتهم من دور السرية والكتمان إلى الظهور والعلانية ، فأسسوا أول دولة لهم فى حضرموت واليمن ، على يد أحد دعاتهم وهو عبد الله بن يحيى الكندى ، الذى لقب " بطالب الحق " والذى استطاع فى غضون وقت قصير مد نفوذه إلى مكة ، والطائف ، واستعدت

جيوشه للزحف إلى بلاد الشام لمقابلة الأمويين وإسقاط دولتهم ، قبل أن يسبقهم العباسيون إلى ذلك .

وعلى الرغم من أن أهل المدينة المنورة فى تلك الفترة لم يكونوا أهل حرب أو قتال ، يعمل معظمهم فى التجارة ، إلا أنهم تحمسوا لقتال الأباضية وخرجوا فى جيش كبير زاحفين نحو مكة ، وفى قُدَيْد بالقرب من مكة اشتبكوا مع الأباضية فى قتال عنيف بعد أن رفضوا كل العروض التى قدمها إليهم الأباضية للتنحى عن طريقهم حيث أن الأباضية لم يكن فى نيتهم التعرض للمدينة وأهلها ، وانتهى القتال بهزيمة ساحقة لأهل المدينة وقضى الأباضية على عدد كبير منهم ، ودخلوا إلى المدينة واستولوا عليها بدون عناء فى أوائل عام (١٣٠هـ / ٧٤٧م) ، واستمرت سيطرة الأباضية على المدينة المنورة قرابة الثلاثة أشهر .

بذل أبو حمزة المختار بن عوف قائد الجيش الأباضى خلال تلك الفترة جهده لاقناع أهل المدينة للانضمام إلى دعوته ، بحسن معاملتهم تارة ، وتارة أخرى بإلقاء الخطب التى تشرح لهم عدالة الدعوة الأباضية ، وظلم الأمويين، مذكرًا إياهم فى خطبه هذه ما عانوه من ضغط سياسى ، وضيق اقتصادى ، وبطش عسكرى ، على أيدى الأمويين وولاتهم ، إلا أن أهل المدينة حيروا أبا حمزة ومن معه باصرارهم على رفض الدعوة الأباضية وعدم تقبلهم الوجود الأباضى فى مدينتهم .

وما كاد أهل المدينة يعلمون بوصول الجيش الذى أرسله الخليفة الأموى مروان بن محمد من الشام إلى مشارف المدينة ، حتى هبوا لقتال من فى المدينة المنورة من الأباضية ، وفى الوقت الذى نجح الجيش الأموى فى هزيمة الجيش الأباضى فى معركة وادى القرى ، نجح أهل المدينة فى القضاء على من بها من الأباضية ، فدخلها الجيش الأموى دون عناء .

ولم يلبث الجيش الأموى طويلاً فى المدينة ، فزحف منها إلى مكة ، حيث عاد إليها أبو حمزة مع بعض جيشه الذى لم يشتبك مع الأمويين فى وادى القرى وبعد قتال عنيف بين الطرفين نجح الجيش الأموى فى استعادة مكة ، بعد القضاء على معظم الجيش الأباضى وقواده ، وكان منهم أبو حمزة نفسه ، كما نجح الجيش الأموى أيضًا فى استعادة مدينة الطائف ، وبالقرب منها تقابل فى معركة طاحنة مع " طالب الحق " الذى جاء بجيشه من اليمن لمعاونة الأباضية بالحجاز ، وانتهت تلك المعركة أيضًا بهزيمة الأباضية وقتل " طالب الحق " نفسه ، مما فتح الباب أمام الجيش الأموى للقضاء على من تبقى من فلول الأباضية فى اليمن وحضرموت ، وانتهى بذلك أمر أول دولة أقامها الأباضية فى اليمن والحجاز .

والدراسة التى أقدمها هى محاولة لإلقاء الضوء على الفترة التى استولى فيها الأباضية على المدينة المنورة ، فهذه الفترة على قصرها حيث لم تتجاوز الثلاثة أشهر ، إلا أن دراسة أحداثها وتحليلها من خلال المصادر السنية والشيعية والأباضية التى اعتمدنا عليها تظهر أهميتها لفهم كثير من الحقائق ، فمن هذه الدراسة يمكننا أن نلمس حقيقة الأسلوب الذى انتهجه الأباضية فى حروبهم ، وفى وسائل دعوتهم ، وفى موقفهم من معارضيهم ، كما يمكننا أيضًا أن نلمس مدى تطبيق الأباضية لبعض مبادئ مذهبهم التى كانوا ينادون بها ، مثل موقفهم من الأسرى ، ورأيهم فى مرتكب الكبيرة .

ومن خلال هذه الدراسة أيضًا يمكننا تتبع الموقف الذى اتخذه أهل المدينة من الحركة الأباضية ، والتعرف على الأسباب الحقيقية التى كانت وراء إصرار أهل المدينة على رفض الأباضية ومذهبهم ، هذا الرفض الذى لم يترتب عليه هزيمة الأباضية وخروجهم من المدينة فقط ، ولكن ترتب عليه أيضًا خروجهم من الحجاز كله ، وانتهاء أمر دولتهم فى بلاد اليمن .

ومن موقف أهل المدينة يمكننا أن نستخلص حقيقة غاية فى الأهمية وهى أن العقائد الغريبه والأفكار المتطرفة من السهل على أى مجتمع إسلامى مقاومتها والتغلب عليها ، إذا ما كان أهل هذا المجتمع يتحلون بالعقيدة الصحيحة والفهم الحقيقى لجوهر الدين الإسلامى ، وهذا ما كان وراء رفض أهل المدينة للمذهب الأباضى ، إذ حمل إليهم هذا المذهب فكرًا متطرفًا وغريبًا على ما كان لديهم من عقيدة سنية صحيحة تعلموها منذ عهد الرسول ﷺ ، وتوارثوها على يد علمائهم ، وفقهائهم على مر السنين .

واقتضت هذه الدراسة أن نقسمها إلى تمهيد ، وفصول ثلاثة : وفى التمهيد تتبعنا علاقة أهل المدينة بالأمويين ، وكيف كانت المدينة من مواطن المعارضة للحكم الأموى ، مما دفع الخلفاء الأمويين للقسوة فى معاملة أهلها بإرسال الجيش لتأديبهم تارة ، وإقامة ولاة يبطشون بهم والتضيق عليهم فى العطاء تارة أخرى ، حتى انصرف أهل المدينة عن المعارضة السياسية والمشاركة فى الأحداث الجارية فى الدولة حتى كان آخر العهد الأموى ، فلما استولى الأباضية على مكة والطائف ، عاد لأهل المدينة فاعليتهم ولم تمنعهم معاناتهم فى ظل الحكم الأموى أن يتصدوا للأباضية لمنعهم من الزحف إلى بلاد الشام .

ويأتى بعد ذلك الفصل الأول وعنوانه " ظهور الأباضية وتطور حركتهم حتى نهاية العصر الأموى " ، وفيه نتحدث عن ظهور فرقة الأباضية بعد انقسام الخوارج إلى غلاة ومعتدلين ، ثم نتحدث عن التنظيم السرى للأباضية فى البصرة والوسائل التى اتبعوها فى هذا التنظيم ، لنشر دعوتهم وخاصة فى أطراف الدولة الأموية .

أما الفصل الثانى وعنوانه " ظهور طالب الحق " وإقامته أول دولة أباضية فى اليمن والحجاز " ففيه تحدثت عن انتشار الدعوة الأباضية فى

جنوب الجزيرة العربية ، ونجاح طالب الحق فى إقامة دولته فى حضرموت واليمن والحجاز وعرضت للدعم الذى حظى به طالب الحق من زعماء الأباضية فى البصرة من مال وسلاح ورجال كان منهم الداعية أبو حمزة المختار بن عوف الذى قاد الجيش الأباضى للاستيلاء على مكة والطائف .

أما الفصل الثالث وعنوانه " موقف أهل المدينة من الحركة الأباضية " فقد تتبعت فيه موقف أهل المدينة من الأباضية ، فتحدثت عن خروجهم فى جيش كبير إلى مكة ، واشتباكهم مع الأباضية فى موقعة قُدَيْد التى انتهت بهزيمة أهل المدينة ، واستيلاء الأباضية على المدينة وسيطرتهم عليها ، ثم تناولت بالحديث سياسة أبى حمزة فى المدينة ، ومحاولاته المتكررة لاقناع أهل المدينة للانضمام إليه لعدالة القضية التى يدافع عنها ، واستعرضت الخطب التى ألقاها فى أهل المدينة لهذا الغرض ، ثم خروج الأباضية للقاء الجيش الأموى ، وهزيمتهم فى موقعة وادى القرى ، وانسحاب من تبقى منهم إلى مكة ثم تناولت بالحديث قيام أهل المدينة بالقضاء على من بها من الأباضية بتتبعهم وقتلهم ، ثم تحدثت عن خروج الجيش الأموى من المدينة لقتال الأباضية وابادته لهم فى مكة والطائف واليمن وقتله لزعمائهم ومنهم أبا حمزة وعبد الله بن يحيى طالب الحق وفى النهاية تناولت بالعرض والتحليل سبب موقف أهل المدينة وإصرارهم على رفض الوجود الأباضى فى مدينتهم، وأثر هذا الموقف على هزيمة الأباضية وانتهاء دولة طالب الحق .

وختامًا : أحمد الله تعالى الذى وفقنى وأعاننى على انجاز هذا العمل خالصًا لوجه الله تعالى .

د . صفاء حافظ عبد الفتاح

١ مايو ١٩٩٥م

تمهيد

أحوال المدينة المنورة فى العصر الأموى

أثبتت الأحداث التى وقعت خلال الفترة الأولى من العصر الأموى أن المدينة المنورة وإن فقدت مكانتها كحاضرة للدولة العربية الإسلامية ، إلا أنها لم تتخل عن دورها فى المشاركة فى الأحداث السياسية التى وقعت على ساحة هذه الدولة، فظل أهل المدينة(١) يتفاعلون مع تلك الأحداث ، ويعلنون عن رأيهم فيها بالقول والفعل ، ويظهرون معارضتهم لما لا يرضونه(٢) ، ووصلت تلك المعارضة ذروتها عندما أقدم أهل المدينة على خلع الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٣هـ / ٦٨٠ - ٦٨٣م) ومبايعة واحد منهم بالخلافة سنة (٦٣هـ / ٦٨٢م)(٣) .

---

(١) " أهل المدينة " اصطلاح حل محل المهاجرين والأنصار ، وأطلق على كل من يعيش بالمدينة من قريش والأنصار والموالى وغيرهم ، وكثر تداول هذا الاصطلاح فى العصر الأموى على لسان الخلفاء الأمويين وولاتهم فى المدينة بسبب اتفاق أهلها فى موقفهم من القضايا والأحداث الجارية فى الدولة . انظر : اليعقوبى : تاريخه ، دار بيروت ، ١٩٨٠م ، ج٢ ص٢٥٠ ، ٢٧٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، محمد شراب : المدينة فى العصر الأموى ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ١٩٨٤ م ، ص١٦٤

(٢) أظهر أهل المدينة ميلهم لعلى بن أبى طالب وحاربوا معه ضد معاوية بن أبى سفيان، وبايعوا معاوية على مضض منهم ، وعارضوا البيعة ليزيد بن معاوية ، وأعلنوا عن غضبهم عند مقتل الحسين فى كربلاء ، انظر : خليفة بن خياط تاريخه ، تحقيق سهيل زكار ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٦٨م ، ج١ ص٢٥١ - ٢٥٧ ، اليعقوبى : تاريخه ج٢ ص٢٤٥ - ٢٤٦ ، المسعودى : مروج الذهب ، تحقيق محمد عبد الحميد ، دار الفكر ، ١٩٧٣ م ، ج٢ ص٣٦٧ - ٣٨٩ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تهذيب عبد القادر بدران ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ج٣ ص٢٢٥

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، دار القلم ، بيروت ، ج٧ ص٥

وقد حاول الأمويون معالجة هذا الأمر منذ بداية عهدهم ، فاتجه الخليفة معاوية بن أبى سفيان (٤١ - ٦٠هـ / ٦٦ - ٦٨٠م) إلى اتباع سياسة تتسم بالترهيب تارة والترغيب تارة أخرى مع أهل المدينة ، فبدأ عهده بإرسال بسر ابن أرطاة[١] فى فرقة من الجند إلى بلاد الحجاز ، فأقام فى المدينة شهرًا أساء فيه معاملة أهلها ، وأخافهم ، وقتل منهم جماعة[٢] ، وفى الوقت الذى انصرف فيه معاوية عن استخدام كبار رجال أهل المدينة وزعمائها فى أعمال الدولة وإدارتها[٣] عمل على منحهم العطايا والهبات الضخمة ، حتى يصرفهم عن معارضته[٤] ، وفى الوقت ذاته قلل من عطاء عامة أهل المدينة وأنقصه ، حتى ضاقت بهم سبل العيش[٥] ، فباع كثير منهم الأرض والدور ، فاشتراها معاوية ، ولعله أراد بذلك السيطرة على اقتصاديات المدينة خاصة وإقليم الحجاز عامة[٦] .

---

(١) عنه انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م، ص١٧٠ ، ٣٣٤

(٢) ابن عساكر : التهذيب ، ج٣ ص٢٢٣ - ٢٢٨ ، السمهودى : وفاء الوفا ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ج١ ، ص٤٦

(٣) طه حسين : حديث الأربعاء ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٢٥م ص٢٤١ ، ٢٩٧ محمد شراب : المدينة فى العصر الأموى ، ص٢٦٧ ،

(٤) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، دار صادر ، بيروت ، ص١٠٤ - ١٠٥

(٥) اليعقوبى : تاريخه ، ج٢ ، ص٢٢٣ ، الزبيرى : نسب قريش ، تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المعارف ، ص١٥٤ - ١٥٥ ، ٣٨٩

(٦) صفاء حافظ : ضياع بنى أمية فى عصر الخلافة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٩١م ، ص٣٦ - ٣٩

وسار يزيد بن معاوية على نفس سياسة أبيه ، فأغدق على كبار رجال أهل المدينة المنح والأموال[١] ، وفى الوقت ذاته ترك عامتهم يعيشون فى ضيق مادى[٢] وعندما علم بمعارضتهم له اشتد فى تهديدهم[٣] ، وأسرع بإرسال جيشه لتأديبهم والقضاء على ثورتهم فى سنة (٦٣هـ / ٦٨٢م) بل أنه أباح المدينة لهذا الجيش ، وفى موقعة الحرة[٤] التى دارت بين أهل المدينة وهذا الجيش هزم أهل المدينة وقتل عدد كبير منهم ، واستبيحت المدينة فأحدث الجيش الأموى بها الكثير من القتل والاعتداء على الأموال والحرمات[٥] . وبايع أهل المدينة ليزيد على أنهم عبيد له[٦] .

وعلى الرغم من هزيمة أهل المدينة المنورة فى موقعة الحرة ، ومعاناتهم مما فعله الجيش الأموى بهم من أفعال استنكرها عامة المسلمين ،

---

(١) الطبرى : تاريخه ، ج٧ ص٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ج٨ ص٢٤٩

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ص٢٥٢ ، محمد شراب : المدينة فى العصر الأموى ، ص٢٣٥ - ٢٣٦

(٣) انظر نص الرسالة التى أرسلها يزيد يهدد فيها أهل المدينة . ابن قتيبة : عيون الأخبار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج١ ص٣٠٠ - ٣٠١

(٤) الحرّة : أرض ذات حجارة سوداء ، وبالمدينة حرتان : حرة غربية وحرة شرقية ، والحرة الشرقية تعرف بحرة واقم ، وتقع شرقى المدينة ، وهى التى وقعت على أرضها معركة الحرة، انظر : ياقوت معجم البلدان ، دار بيروت ، ١٩٧٩م ، ج٢ ص٢٤٥ - ٢٤٩

(٥) عن أحداث موقعة الحرة ، انظر خليفة بن خياط : تاريخه ، ص٢٨٩ - ٣١٤ ، السمهودى : وفاء الوفا ، ج٢ ، ص١٢٤ - ١٣٨
Ency of Islam, Art Al-Madina, Vol, III, P. 88

(٦) الزبيرى : نسب قريش ، ص٣٧١

إلا أن ذلك لم يشفع لدى الخلفاء الأمويين من بنى مروان ؛ فلم ينسوا لأهل المدينة موقفهم المعارض لحكم بنى أمية ، ويؤكد ذلك ما روى عن موقف الخليفة عبد الملك بن مروان من أهل المدينة عندما مر بهم سنة (٧٦هـ / ٦٩٥م) فى طريق عودته من الحج ، فقد " أغلظ لأهلها القول ، وقام خطباؤه ونالوا من أهل المدينة ، وقام محمد بن عبد الله القارئ ، فقال لبعض الخطباء وهو يتكلم . كذبت لسنا كذلك ، فأخذه الحرس ، فجروه حتى ظن الناس أنهم قاتلوه ، فأرسل إليهم : أن كفوا عنه وخلو سبيله"(١) ولما زار الخليفة الوليد بن عبد الملك المدينة فى طريقة للحج سنة (٩١هـ / ٧٠٩م) " خطب فى أهل المدينة وتوعدهم ، فقال : أنكم أهل الخلاف والمعصية، فقام إليه قوم فكلموه ، فقال : ما نجهل ما تقولون ، ولكن فى النفوس ما فيها "(٢).

ترتب على تلك المشاعر التى حملها الخلفاء الأمويون من بنى مروان نحو أهل المدينة أنهم ساروا على نفس السياسة السابقة فى النواحى المالية ، فكانت عطاياهم وهباتهم تذهب للزعماء والخاصة لاسترضائهم(٣) ، وفى الوقت ذاته يشحون بالأموال على العامة ، بل أنهم حرموهم من حقهم فى بيت المال فامتنعوا عن فرض العطاء لهم(٤) ، وتشددوا فى جمع الصدقات

---

(١) اليعقوبى : تاريخه ، ج٢ ، ص٢٧٤ .

(٢) اليعقوبى : المصدر نفسه ، ج٢ ص٢٨٥

(٣) اليعقوبى : المصدر نفسه ، ج٢ ص٢٧٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٨

(٤) ويؤكد ذلك ما جاء على لسان عبد الملك بن مروان مخاطبا محمد بن سلمة بن شهاب الزهرى من أهل المدينة الذى طلب من الخليفة أن يفرض له فى الديوان فليس له فيه عطاء ، فقال له عبد الملك : " إن بلادك لبلاد ما فرضنا فيها لأحد مذ كان هذا الأمر".
انظر : ابن شبه : تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهيم شلتوت ، دار الأصفهانى جدة ، ج٢ ، ص٧٢٥

وجبايتها لبيت المال[١] ، ولما كانت البيئة الحجازية بيئة فقيرة تعتمد على ماياتيها من معونة الدولة فقد تأثر عامة أهل المدينة من إهمال الأمويين لهم وتضيقهم عليهم وخاصة فى السنوات التى كان يصيبهم فيها الجفاف ، فألمت بهم المجاعات[٢] .

لم يكتف الخلفاء الأمويون بمعاقبة أهل المدينة بالتضيق عليهم ماليا ولكن بعضهم عمد إلى التشدد مع أهل المدينة بين حين وآخر بإرسال الولاة الأشداء إليهم ، وخاصة عندما كان الخليفة يحتاج اجبار أهل المدينة على تنفيذ أوامره ، فأسند الخليفة عبد الملك بن مروان ولاية مكة والمدينة للحجاج بن يوسف الثقفى[٣] بعد أن تم له القضاء على عبد الله بن الزبير سنة (٧٤هـ / ٦٩٣م)[٤] وعلى الرغم من أن مدة هذه الولاية كانت قصيرة فلم تتجاوز أشهر معدودة، إلا أن هذا الوالى اشتد على أهل المدينة وأساء لجماعة من الصحابة وعاملهم بقسوة[٥] . ولم يلبث عبد الملك بن مروان فترة حتى ولى

---

(١) الزبيرى : نسب قريش ، ص٤٢٦ - ٤٢٧

(٢) ابن شبه : تاريخ المدينة المنورة ، ج٢ ص٧٢٥ ، الزبيرى نسب قريش ، ص٢٤٦

(٣) انظر ترجمته فى : ابن عساكر : تهذيب ، ج٤ ، ص٥١ - ٨٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٩ ص١٣١ - ١٥٦

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه ، ص٣٨٣ ، وانظر ترجمة ابن الزبير عند ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧ ص٣٩٩ - ٤٢٤

(٥) اليعقوبى : تاريخه ، ج٢ ص٢٧٢ ، ابن عساكر : تهذيب ، ج٤ ، ص٦٩ ، ٧٦ - ٧٧ ، ابن الأثير الكامل فى التاريخ : دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ج٤ ص٢٦ وبلغ من كره أهل المدينة للحجاج أنهم ضجوا عندما علموا بأنه سوف يمر بالمدينة فى طريقه للحج فكتب الوالى عمر بن عبد العزيز للخليفة الوليد بذلك فمنعه الوليد من دخول المدينة ، انظر محمد شراب : المدينة فى العصر الأموى ، ١٩٢

عليهم هشام بن إسماعيل المخزومي[١] في الفترة (٨٢ - ٨٦هـ/٧٠١ - ٧٠٥م) وكان هذا الوالي سئ السيرة جائرًا في ولايته ، لم يتورع عن ضرب فقيه المدينة وعالمها سعيد بن المسيب عندما رفض مبايعة الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان بولاية العهد سنة (٨٤هـ / ٧٠٣م)[٢] .

وأقدم الخليفة الوليد بن عبد الملك على تولية عثمان بن حيان المري[٣] على المدينة في الفترة (٩٢ - ٩٦هـ / ٧١٠ - ٧١٤م) ، فاشتد هذا الوالي في الإساءة لأهل المدينة[٤] وراقبهم وعاقبهم على إيوائهم لبعض أهل العراق الذين فروا إلى المدينة هرباً من ظلم الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان يتولى العراق في ذلك الحين[٥] .

وعاني أهل المدينة أيضاً من عنف وقسوة الوالي إبراهيم بن هشام المخزومي[٦] الذي ولاه عليهم الخليفة هشام بن عبد الملك في الفترة (١٠٦ - ١١٤هـ / ٧٢٤ - ٧٣٢م) وأقدم هذا الوالي على التضيق على أهل المدينة فاستولى على أموالهم[٧] ، وزاحمهم في سوقهم ، فاستولى عليه

---

(١) انظر ترجمته عند الزبيري : نسب قريش ، ص٣٢٨ - ٣٢٩ ، ابن حزم جمهرة أنساب العرب ، ص١٤٨

(٢) الزبيري : نسب قريش ، ص٤٧ - ٤٨ ، خليفة بن خياط : تاريخه ، ص٣٧٧ ، اليعقوبي : تاريخ ، ج٢ ص٢٨٠

(٣) عنه انظر: الزبيري: نسب قريش ، ص٢٨٦ ، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٢٥٣

(٤) الزبيري : نسب قريش ، ص٢٨٦

(٥) اليعقوبي : تاريخه ، ج ص٢٩٠ ، الطبري تاريخ الأمم الملوك ، ج٨ ص٩٠

(٦) انظر ترجمته عند الزبيري : نسب قريش ، ص٢٤٦ - ٢٤٧ ، ابن حزم جمهرة أنساب العرب ، ص١٤٨

(٧) شكى أهل المدينة للخليفة هشام بن عبد الملك من هذا الوالي ، فقال أحدهم عنه : أخذ إبراهيم بن هشام ما بين منابت الزيتون إلى منابت القرظ ، فلم يغنه كثر ما بيديه عن قليل ما في أيدينا " ويقصد منابت الزيتون بالشام ومنابت القرظ باليمن . انظر : الزبيري : نسب قريش ، ص٢٤٦

لصالح الخليفة ، وفرض عليهم كراءه(١) ، وظهرت آثار تلك السياسة المالية المجحفة التى اتبعها هذا الوالى مع أهل المدينة عندما انعدم المطر وأصاب المدينة الجفاف فلم يجد أهلها ما يقاومون به المجاعة التى ألمت بهم فى عهد الوالى خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم(٢) الذى تولى المدينة بعد عزل هشام بن إسماعيل المخزومى سنة (١١٤هـ / ٧٣٢م) ، واشتدت هذه المجاعة التى استمرت سبع سنوات متتالية ، فأطلق عليها " سنيات خالد " نسبة للوالى(٣) .

كانت هزيمة أهل المدينة فى موقعة الحرة سنة (٦٣هـ / ٦٨٢م) ، ثم نجاح الأمويين فى استعادة سلطانهم على بلاد الحجاز بعد قضائهم على حركة عبد الله بن الزبير فى مكة سنة (٧٤هـ / ٦٩٣م)(٤) إلى جانب سياسة

---

(١) كان الرسول ﷺ قد اتخذ لأهل المدينة سوقًا ونهى عن أخذ الخراج عنها ، فلما تولى معاوية بن أبى سفيان اتخذ بها دارين وضرب عليهما الخراج ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز ولاية المدينة (٨٧ - ٩٣ / ٧٠٥ - ٧١١م) ألغى الخراج على السوق ، فلما تولى إبراهيم بن هشام اتخذ للخليفة هشام بن عبد الملك دارا كبيرة أدخل فيها معظم السوق وأقام بها الحوانيت فأخذها التجار بالكراء ، فلما توفى هشام قام أهل المدينة بهدم هذه الدار غضبًا لما فعله الخليفة بسوقهم . انظر ابن شبه : تاريخ المدينة المنورة، ص٢٧٠ - ٢٧١ ، السمهودى : وفاء الوفا ج٢ ص٧٤٧ - ٧٥٠ ، صفاء حافظ : ضياع بنى أمية فى عصر الخلافة ، ص٥٠ -٥١

(٢) عنه انظر : الزبيرى : نسب قريش ، ص٢٤٦ ، ٢٨٠ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص١٠٩ ، ١٦١

(٣) عن هذه المجاعة انظر : الزبيرى : نسب قريش ، ٢٤٦

(٤) عن حركة عبد الله بن الزبير انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٣ ص٣٠٥، ٣١٦ ، ٣٥٤ ، ج٤ ص٢١ - ٢٧ ، ابن طباطبا : الفخرى ، ص١٢٢ ، ١٢٣ ، الفاكهى : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ص١٨ - ٣١

التضييق الاقتصادى والضغط السياسى التى أوقعها بعض الخلفاء الأمويين وولاتهم بأهل المدينة سببًا فى انصرافهم عن معارضة الأمويين ، فاتجه أهل المدينة لقبول الواقع ، ورضوا بالحكم الأموى وقد رأوا أن الحرب تفسد ولا تصلح ، وأخلدت المدينة للهدوء والسكينة لفترة امتدت من أواخر عام ٧٤ حتى عام ١٢٩هـ (٦٩٣ - ٧٤٦م) أى حوالى نصف قرن من الزمان ، وفى تلك الفترة انشغل عامة أهل المدينة بتدبير معايشهم ، واستمتع أصحاب الأموال بما عندهم ، وانقطع أهل العلم إلى علمهم ؛ ومن ثم أصبحت المدينة المنورة مأوى لمن يطلب العلم الدينى ، ومجاورة الرسول ﷺ ، وكذلك لمن يطلب الهدوء واعتزال الفتن التى اشتدت بسبب الاتجاهات الفكرية والسياسية المعارضة للأمويين والتى سادت فى كثير من ولايات الدولة(١) .

وفى أواخر عام (١٢٩هـ / ٧٤٦م) فوجئ أهل المدينة بعودة الوالى الأموى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك(٢) من مكة قبيل انتهاء موسم الحج، ودعوته أهل المدينة للاسراع بإعداد جيش لدرأ خطر الأباضية(٣)

---

(١) محمد شراب : المدينة فى العصر الأموى ، ص٣٣٨

(٢) ولى عبد الواحد بن سليمان مكة والمدينة والطائف سنه (١٢٩هـ / ٧٤٦م) وكان أميرًا للحج فى موسم هذا العام . انظر : الزبيرى نسب قريش ، ص١٦٦ ، ٢٥٠ ، الفاسى : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ضمن كتاب أخبار مكة ، ص١٧٩

(٣) تتفق معظم المصادر السنية مع المصادر الأباضية على اشتقاق اسم الأباضية من اسم عبد الله بن أباض التميمى المرى ، وتذكر الدكتورة سيدة كاشف أنهم فى عمان يفتحون الهمزة ، فى حين جاء فى دائرة المعارف الإسلامية أنهم فى شمال أفريقيا يفتحون الهمزة بينما يكسرها أباضية عمان ، ويبدو أن فتح الهمزة وكسرها جائز ، حيث وردت بكلتا الحالتين لدى مؤرخى الأباضية . انظر : البغدادى : الفرق بين الفرق دار الكتب العلمية ، بيروت ص٧٠ ، المبرد : الكامل ، تحقيق محمد أبوالفضل، =

الذين استولوا على مكة ، وأعلنوا خروجهم على حكم الخليفة الأموى مروان ابن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/ ٧٤٤ - ٧٤٩م)(١) ، وعندئذ عاد لأهل المدينة فاعليتهم وحماسهم للمشاركة فى الأحداث الجارية فخرجوا لصد هذا الخطر ، وقبل أن نتكلم فى تفصيل ذلك ، علينا أن نشير لتاريخ فرقة الأباضية .

= دار الفكر العربى ، ج٣ ص١٨١ ، ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ج١ ص٨ ، الدرجينى : طبقات المشايخ بالمغرب ، تحقيق محمد عزب ، دار الفرجانى ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ج٢ ص٢٢ ، الرقيشى : مصباح الظلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٢٠٥٤٩ب ، ورقة ١٩ ، البرادى : الجواهر المنتقاه ، طبعة حجر ، القاهرة ، ص١٥٥ - ١٥٦ ، سيدة كاشف : عمان فى فجر الإسلام ، وزارة التراث ، عمان ، ١٩٨٩م ، ص٧٥ ، دائرة المعارف الإسلامية ج١ ص٢٢ ، سالم الحارثى :العقود الفضية فى أصول الأباضية ، وزارة التراث ، عمان ١٩٨٣م ، ص١٢١ - ١٢٢

(١) اليعقوبى : تاريخه ، ج٢ ص٢٣٩ ، الطبرى : تاريخ الأمم الملوك ، ج٩ ص٩٥

الفصل الأول

ظهور الأباضية وتطور حركتهم حتى نهاية العصر الأموى

الأباضية هى إحدى الفرق التى ظهرت بالبصرة على إثر انقسام الخوارج[1] سنة (٦٥هـ / ٦٨٤)[2] ، وكانت جماعة الخوارج بالبصرة قد

(١) الخوارج : جماعة من جيش على بن أبى طالب خرجت عليه أثناء معركة صفين (٣٧هـ/ ٦٥٧م) استنكارًا لقبوله التحكيم فسموا بالمحكمه لقولهم " لا حكم إلا لله " واعتزلوه فى قرية حروراء بالكوفة ، فسموا ، كذلك بالحرورية ، وسرعان ما أصبحوا جماعة سياسية لها أميرها ، ولها مذهبها الدينى الذى ارادوا فرضه بالقوة على المسلمين ، ودفعهم ذلك إلى استعراض المخالفين لهم وقتلهم ، فاشاعوا الفزع والذعر بين الناس ، فحاربهم على بن أبى طالب فى موقعه النهروان سنة (٣٨هـ / ٦٥٨م) ولكنه لم يستطع القضاء عليهم نهائيًا ، فانتقموا منه باغتياله سنة (٤٠هـ / ٦٦٠م) ثم أعادوا تجميع أنفسهم وناوؤا سلطان الدولة الأموية وسموا أنفسهم بالشراة أى الذين باعوا أنفسهم فى الدنيا واشتروا الآخرة بمقاومة الحكام الأمويين الظالمين عملاً بقول الله تعالى فى سورة التوبة آية (١١١) : ﴿ أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ . انظر : البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص٤٩ – ٧٨ ، والشهرستانى : الملل والنحل ، مؤسسة الحلبى القاهرة ، جـ١ ص١١٤ – ١٤٦ ، الأشعرى : مقالات الإسلاميين ، تحقيق محمد عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص١٦٧ – ٢١٢ ، الشماخى : السير ، تحقيق أحمد السيابى ، وزارة التراث والثقافة ، عمان ، ١٩٩٢م ، ص٤٥ – ٥٤ ، سالم السيابى : أصدق المناهج فى تمييز الأباضية من الخوارج ، تحقيق سيدة كاشف ، وزارة التراث والثقافة ، عمان ، ١٩٧٩م، ص٢١ – ٢٢

(٢) المبرد : الكامل ، جـ٣ ص٢٩٠ ، محمد عليان : نشأة الحركة الأباضية فى البصرة ، دار الهداية ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص٩

تكونت على يد أبى بلال مرداس بن حدير التميمى[1] وهو أحد الخوارج القلائل الذين نجوا من معركة النهروان سنة (٣٨هـ/٦٥٨م)[2] ، ولما لقى أبو بلال مصرعه على أيدى الأمويين سنة (٦١هـ / ٦٨٠م)[3] كثر عدد أتباعه وعملوا على الانتقام له[4] واشتبكوا مع ولاة الأمويين فى الكوفة والبصرة وناوؤا سلطانهم[5] ، وانضموا لعبد الله بن الزبير فى مكة ، لمقاومة الجيش الأموى الذى أرسل لقتاله ، ولما تبين لهم عدم موافقة رأى ابن الزبير لرأيهم فى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه[6] ، انصرفوا

---

(١) انظر ترجمة أبى بلال مرادس عند : الدرجينى : طبقات المشايخ ، جـ٢ ص٢٣ – ٣٣ ، الشماخى : السير ، جـ١ ص٦٤

(٢) عن معركة النهروان انظر : خليفة بن خياط ، تاريخه ، ص٢٢٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ، ص٩٤ – ٩٥ الشماخى : السير ، جـ١ ص٥٠ – ٥٣

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٦ ص٢٧١

(٤) صالح بن أحمد الصوافى : الإمام جابر بن زيد العمانى وآثاره فى الدعوة ، وزارة التراث القومى والثقافة ، عمان ١٩٨٩ ، ص١٤٠ – ١٤٢

(٥) عن الصراع بين ولاة الأمويين والخوارج فى العراق انظر : خليفة بن خياط ، تاريخه ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ ، ابن قتيبه : عيون الأخبار ، جـ٢ ص٢٦٣ – ٢٦٧ ، المبرد : الكامل جـ٣ ص٢٤٥ – ٢٦٠ ، فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ١٩٥٨م ، ص٥١ – ٦٤ ، سالم الحارثى : العقود الفضية فى أصول الأباضية ، ص١١٠

(٦) طعن الخوارج فى الخليفة عثمان بن عفان ، وخاصة فيما فعله بعد السنوات الست الأولى من حكمه واعتبروه مخالفًا ، لذا وجبت البراءة منه واحلوا سفك دمه وقتله . انظر : البغدادى : الفرق بين الفرق ص٥٤ ، الشهر ستانى : الملل والنحل ص١١٨ ، البرادى : الجواهر : المنتقاه ، ص١٥٦ – ١٦٧ ، سالم الحارثى : العقود الفضية ، ص٢٨ – ٣٠

عنه سنة (٦٤هـ / ٦٨٣م)(١) ، ولكن فريق منهم فضل البقاء فى الجزيرة العربية ، واتخذ هذا الفريق من اليمامة(٢) مقرًا له(٣) فى حين عاد الفريق الآخر إلى البصرة واستغل هذا الفريق اضطراب الأحوال بالدولة بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية سنة (٦٤هـ / ٦٨٣م) ، فاعلنوا الثورة ، وارتكبوا الكثير من أعمال العنف فى البصرة ، فتصدى أهلها لهم وقاتلوهم ، ثم أقدمت جماعة كبيرة من هؤلاء الخوارج على الرحيل إلى الأهواز(٤) وبايعوا أحد زعمائهم وهو نافع بن الأزرق بإمرة المؤمنين ، وعرفت هذه الجماعة بالأزارقة(٥) نسبه إليه ، وواصلوا شن غاراتهم على أقاليم شرق الدولة فى حرب كانت أشبه بحرب العصابات ، وساعدتهم سرعة فرسانهم على اكتساح البلاد ومباغتة المدن وتدميرها وسلبها(٦) .

تخلف عدد قليل من الخوارج عن الخروج إلى الأهواز مع نافع ابن الأزرق ورأوا البقاء فى البصرة ، واتجهوا للسلم وعدم مناوئة

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ص٥٥-٥٧ . المبرد: الكامل، جـ٣ ص٢٧٧-٢٨١

(٢) اليمامة من أقاليم نجد ، وقاعدتها حجر ، وهى قريبة من البحرين . انظر : ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ص٤٤٢

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ص٥٧

(٤) الأهواز كانت تسمى خوزستان عند الفرس ، وهى كورة واسعة تقع بين البصرة وفارس وكان خراجها عظيمًا . انظر : ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ص٢٨٥

(٥) عن الأزارقة انظر : الأشعرى : مقالات الإسلاميين ، ص١٦٨ - ١٧٤ ، البغدادى : الفرق بين الفرق ص٥٦ - ٥٧ ، محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ص٧٣ - ٧٣

(٦) فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص٩٦

السلطات الأموية ، ورأى نافع بن الأزرق عدم ولاية هؤلاء الذين تخلفوا عنه ، فدعى أصحابه إلى البراءة منهم وأطلق عليهم اسم " القعدة "(١) تحقيرا لهم من وجهة نظره ، لأنهم قعدوا عن الجهاد فى سبيل الله بمحاربة الولاة والحكام الظالمين(٢) ، وتصاعدت حدة التطرف لدى ابن الأزرق فرأى تكفير كل من ليسوا على عقيدته من المسلمين ، واستحلال دمائهم وأموالهم وقتل أطفالهم ، وعدم جواز مناكحتهم وموارثتهم وكتب بما رآه كتابًا أرسله إلى " القعدة " فى البصرة سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م) ، وأدى هذا الكتاب إلى اختلاف " القعدة " وانقسامهم بسبب تباين موقفهم من آراء نافع بن الأزرق(٣)، وكان هذا الانقسام فى الواقع انقسامًا بين المتطرفين والمعتدلين من الخوارج(٤) .

---

(١) ويذكر عوض خليفات أن اسم القعدة أطلق من قبل على الجماعة التى التفت حول أبى بلال مرداس التميمى فى البصرة ، انظر : نشأة الحركة الأباضية ، الأردن ١٩٧٨م ، ص٦٥ - ٦٧ ، ٧٨

(٢) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ، ص١٦٩ ، المبرد : الكامل ، جـ٣ ص٢٨٦ ، عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ، ص٦٧

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ،جـ٢ ص٥٧ - المبرد : الكامل ، جـ١ ص٢٦٠ ، سالم الحارثى : العقود الفضية فى أصول الأباضية ، ص١٢٢ - ١٢٣
كان الخوارج كثيرى الفرقة يخرجون على بعضهم لأوهى الأسباب ، ووصلوا فى انشقاقهم إلى عشرين فرقة ذكرتها المصادر . انظر : الأشعرى : مقالات الإسلاميين ، ص١٦٨ ومابعدها ، البغدادى : الفرق بين الفرق، ص١٥ ، الشهرستانى : الملل والنحل، جـ١ ص١١٤ - ١٣٨ ، محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، جـ١ ص٦٧

(٤) عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ، ص٧٨

تزعم عبد الله بن أباض[1] المعتدلين من الخـوارج الذيـن انتسـبوا إليـه وعرفوا بالأباضية ، ونزعت هذه الجماعة نحو الاعتدال وابتعدت عـن الغلـو والشطط فى عقيدتها ، وكان قولها أقرب الأقوال لأهل السنة[2] ؛ فكـانت أهـم معالم المذهب الأباضى قولهم بـأن مخـالفيهم مـن المسـلمين ومرتكبـى الكبـائر موحدين وليسوا مشركين ، ولكنهم كفار نعمة لم يكفروا بالله ولكنهـم قصـروا فى حق الله تعالى ، ودماء مخالفيهم حرام ، ودارهم دار توحيـد وإسـلام ، إلا معسكر السلطان وجوزوا شهادة مخالفيهم ، ومناكحتهم والتوارث معهم[3] .

---

(١) عبد الله أباض المرى التميمى ، عده الأباضية من التابعين ، واختلف المؤرخـون فـى تاريخ وفاته والمرجح أنه عاصر خلافة معاوية بن أبى سفيان (٤١ - ٦٠هـ) وعاش حتى عهد عبـد الملـك بـن مـروان (٦٥ - ٨٦هـ) وكـانت لـه علاقـة بهـذا الخليفـة ، وانتهى أمره نهاية غير معروفـة، ولذلك يلتبس علـى بعـض المؤرخيـن أمـره ، فذكـر البعض خطأ مشاركته فى حروب الأباضية فى اليمن والحجاز وقتله فى الموقعـة التـى دارت بين الأمويين وعبد الله بن يحيى فى الحجاز . عنه انظـر : الدرجينـى : طبقـات المشايخ بالمغرب ، جـ٢ ص٢٢ ، الشماخى : السـير ، جـ١ ص٧٢ القلهـاتى : الكشـف والبيان ، تحقيق سيدة كاشف ، وزراة التراث ، عمـان ١٩٨٠م ، جـ٢ ص٤٢٣ - ٤٢٤ ، الـبرادى: الجواهـر المنتقـاة ، ص١٥٥ - ١٥٦ ، الشهرسـتانى : الملـل والنحـل ، ص١٣٤، الزركلى: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م ، جـ٤ ص٦١ - ٦٢ Lewicki, " Al - Ibadiyya ", Ency of Islam, new edltion, Vol, III, PP. 648 - 649

(٢) المبرد : الكامل ، جـ٢ ص٢٩٢ ، على يحيى معمر : الإباضية بين الفـرق الإسـلامية ، وزارة التراث ، مسقط ١٩٧٩م ، ص١٣٧

(٣) عن تعـاليم المذهـب الأبـاضى واعتدالـه انظـر : الأشـعرى : مقـالات الإسـلاميين ، ص١٦٩ ، البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص٨٣ ، القلهـاتى : الكشـف والبيـان ، جـ٢ ص١٣٦ وما بعدها ، ٢١٥ ، ٢٣٠ ، ٢٤٥ ، سالم السيابى : أصدق المنـاهج فىتمييز الأباضية من الخوارج ، ص١٧ - ٤٨ ، مبارك الراشدى : الإمام أبو عبيدة مسـلم بـن أبى كريمة، عمان ١٩٩٢م ، ص١٤٦ - ١٦٣ ، سيدة كاشف : عمان فىفجر الإسلام، ص٣٥ ، على الغرابى تاريخ الفرق الإسلامية ، مكتبة صبيح ، القاهرة ص٢٨١

وفى الوقت الذى رفض غلاة الشيعة فيه حجب عقيدتهم أوكتمان أمرها، وأعلنوا الثورة المسلحة ، وواصلو انتفاضاتهم ، التى اتسمت بطابع العنف والقسوة والتخريب ، واصطدموا مع الجيوش الأموية فى حروب دموية عنيفة، حتى استطاع الأمويون كسر شوكتهم والقضاء على كثير من قوتهم(١)، اتجه الأباضية إلى المسالمة والابتعاد عن الفتن والثورات ، وآثروا التستر والدعوة لمذهبهم وبث أفكارهم العقائدية فى هدوء وسرية حتى تحين الفرصة لتقويض الحكم الأموى وإقامة الإمامة الأباضية طبقًا لمبادئهم(٢) وأطلقوا على مسلكهم هذا مسلك الكتمان(٣) .

---

(١) عن حروب غلاة الخوارج الأزارقة والصفرية مع الأمويين انظر : المبرد : الكامل ، جـ٣ ص٢٩٣ - ٢٩٥ ، ٣٠٦ - ٣٦٧ ، ابن أعثم الكوفى : الفتوح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦م ، جـ٧ ص٢ - ٥٨ ، لويس غارديه : أهل الإسلام ، ترجمة صلاح برمدا، دمشق ، ١٩٨١م ، ص٢٣ - ٢٥ ، فلهوزن الخوارج والشيعة ، ص٥١ - ٦٤
Nicholsen, Litrerary History of th Arabs, Cambridge, 1930, p. 120 .

(٢) عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ص٧٤

(٣) قسم الأباضية الإمامة إلى أربعة أنواع : إمامة الكتمان فى مرحلة الدعوة السرية ومثلوا لها بحالة الفقية جابر بن زيد الذى أخفى عقيدته ورأس الدعوة سرًا ، وإمامة الشراء أى شراء النفس بالجنة والخروج لحرب الحكام الظالمين كما فعل أبو بلال مرداس بن حدير عندما خرج فى سنة ٦١هـ ، وإمامة الدفاع ومثلوا لها بعبد الله بن وهب الراسبى عندما لزم أهل النهروان أقامة إمام يقودهم للدفاع عنهم ، وإمامة الظهور وهى التى يظهر فيها الإمام عندما تصبح لهم دوله ومثلوا لها بالرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة وما كان عليه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . انظر : الدرجينى : طبقات ، جـ١ ص٩ ، والشماخى : السير ، جـ٢ ص٥٢ ، الرقيشى مصباح الظلام ، ورقة ٣٠ ، سالم الحارثى : العقود الفضية فى أصول الأباضية ، ١٠٧ ، ١١٩ ، ١٤٣ ، صالح الصوافى : الإمام جابر بن زيد ، ص١٥٢-١٥٥، ١٧١ ، مبارك الراشدى : أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، ص ١٧٣ ، على يحيى معمر : الإباضية فى موكب التاريخ ، ص٩٣ - ٩٥

تجمع المصادر والمراجع الأباضية على أن الفقية جابر بن زيد الأزدى العمانى[١] (٢١ - ٩٣هـ / (٦٤١ - ٧١١) كان المؤسس الحقيقى للمذهب الأباضى ولكن عملا بمبدأ الكتمان فقد آثر اخفاء أمره وأظهر بدلا منه عبد الله بن أباض الذى كان مسئولاً عن أمر الدعوة والمتحدث باسم الأباضية ، فلما توفى جابر بن زيد خلفه فى رئاسة الدعوة تلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمى (٤٥ - ١٤٥هـ / ٦٦٥ - ٧٦٢م)[٢] ، وهو أحد الشخصيات اللامعة فى مجال التنظيمات السرية فى تلك الفترة ، وإليه يرجع الفضل فى بلورة التنظيم الأباضى ووضع أسسه ، مما ترتب عليه ارتفاع شأن الدعوة الأباضية واشتداد ساعدها ، ومن البصرة التى ظل أبو عبيدة يتخذها مركزًا لقيادة التنظيم السرى للأباضية انتشرت الدعوة فى أطراف الدولة الأموية ، فى عمان وحضرموت واليمن والمغرب وخرسان[٣] .

---

(١) عن الإمام جابر بن زيد وتأسيسه للمذهب الأباضى انظر : الدرجينى : طبقات المشايخ ، جـ٢ ص١١ - ٢١ ، الشماخى : السير ، جـ١ ص٦٧ - ٧٢ ، الرقيشى : مصباح الظلام ، ورقة ٢٠ ، صالح الصوافى : الإمام جابر بن زيد العمانى وآثاره فى الدعوة ، ص١٤٧ - ١٥١

وتنكر المصادر السنية صلة جابر بن زيد بالأباضية عن ذلك انظر : ابن سعد : الطبقات ، ليدن ، ١٩٠٥م ، جـ٧ ص١٣١ - ١٣٢ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ، حيدر أباد ، ١٣٢٩هـ ، جـ٢ ص٣٨ ، محمد عليان : نشأة الحركة الأباضية فى البصرة ومناقشة دعوى تأسيس جابر بن زيد لها وعلاقتها بالخوارج ، ص١٠٠ - ١٥٩

(٢) عن أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة انظر : الدرجينى : طبقات المشايخ ، جـ٢ ص٤٦ - ٥٤ ، الشماخى : السير جـ١ ٧٨ - ٨٠ ، سالم الحارثى : العقود الفضية ، ص١٣٩ - ١٤٨ ، مبارك الراشدى : الإمام أبو عبيدة مسلم بن بى كريمه ، ص٢٥ وما بعدها.

(٣) الدرجينى : طبقات المشايخ جـ٢ ص٤٦ ، الشماخى السير ، جـ١ ص٨٠ ، عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ، ١٠٣ ، ١١٧ ، صالح الصوافى : من أعلام عمان، وزارة التراث ، عمان ١٩٩٤م ، ص٣٥ - ٣٩

Lewicki, Al - Ibadiyya, Vol, III, P. 650 .

اعتمـد أبـو عبيـدة فى تنظيمة على إرسـال الدعـاة الـذين أطلـق عليهـم " حملة العلم "(١) إلى تلك الأطراف لنشـر المذهـب الأبـاضى ، وكـان هـؤلاء الدعاة يختارون بعض من يعتنق مذهبهم مـن أهـل البـلاد التـى يذهبـون إليهـا ويرسلونهم إلى البصرة لتلقى العلـم وأصـول المذهـب علـى يـد أبـى عبيـدة(٢) وعندما يتم لهم ذلك يعودون إلى بلادهـم ليقومـوا بـدور الدعـاة "حملـة العلـم " فيأخذون على عاتقهم نشر المذهب الأباضى بين أهليهم ، مما يؤدى إلى كسب مزيد من المؤيدين للمذهب، عندئذ يمكنهم إظهار أنفسهم بمبايعة أحدهـم إمامًا للظهور(٣) .

ولم يغفل أبو عبيدة الجانب المادى فى تنظيم الدعوة ، ولا شك أن دعـم الدعـاة فـى الأمصـار بالمـال والرجـال والسـلاح لـه أهميتـه فـى صمودهـم إذا

---

(١) حملة العلم : أى الذين حملوا العلم الأباضى من منبعـه وأصلـه فـى البصـرة إلـى بقيـة الأقاليم الإسلامية .

(٢) كان أبو عبيدة يعقد مجلسـه لتعليـم " حملـة العلـم " سـرا فـى سـرداب علىبابـه سلسـلة ويجلس على بابه أحدهم للمراقبـة ، فـإذا أحـس بشـخص قـادم حـرك السلسـلة فيسـمعها الإمام والدعاة فيكفون عن الحديث ويتظاهرون بصنع القفاف وهى صنعه أبى عبيـدة . انظـر: ابـو زكريـا : سـير الأئمـة وأخبـارهم ، تحقيـق إسـماعيل العربـى دار المغـرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص٥٩ ، الشماخى : السير جـ١ ص١١٣ ، الرقيشى : مصباح الظلام ، ورقة ٣٠ ، ٣١

(٣) العوتبى: أنساب العرب، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٢٤٦١ تاريخ ، ورقة ١٠٧، ١٩٣ ، الدرجينـى : طبقـات المشـايخ ، جـ٢ ص١٦ ، الشـماخى : السـير ، جـ١، ص١١٣، سالم السيابى: طلقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الأباضى ، وزارة التراث ، عمان ، ١٩٨٠م ، ص٤٣ – ٥١ ، رجب عبد الحليم : الأباضيـة فـى مصـر والمغرب. وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة ، مسقط ، ١٩٩٠م ، ص٨٢ – ٨٨ ، Lewicki, Al - Ibadiyya, Vol III, P.650.

ماحان الوقت لإظهار أمرالدعوة ، ومن ثم عمل أبو عبيدة على إقامة بيت مال خاص بالبصرة تجمع فيه الأموال[1] ، وجعل الإشراف عليه لأحد رجاله المخلصين وهو أبو مودود حاجب الطائى[2] وأوكل إليه أيضًا الإشراف على شئون الدعوة المالية والعسكرية[3] .

---

(١) كانت موارد بيت المال الخاص بالأباضية تأتى من التبرعات التى تسابق الأباضية فى دفعها ، كما كانت تأتى من الضريبة التى كان يفرضها الإمام على أتباعه فى البصرة ، ولم تذكر المصادر مقدار هذه الضريبة ولا ميعادها . انظر الدرجينى : طبقات المشايخ، جـ٢ ص٧٢ ، الشماخى : السير ، جـ١ ص ١٠٥

(٢) عن حاجب الطائى انظر : الشماخى : السير ، جـ١ ص٨٤

(٣) الدرجينى : طبقات المشايخ ، جـ٢ ص٧٢



الفصل الثانى

ظهور طالب الحق وإقامة أول دولة للأباضية فى اليمن والحجاز

كانت شبه الجزيرة العربية من الأقاليم التى تطلع الأباضية إلى نشر مذهبهم بها ، ونجح الدعاة "حملة العلم " أن يجعلوا من عمان فى أوائل القرن الثانى الهجرى أهم معاقل هذا المذهب(١) ، ولم يمض وقت طويل حتى انتقلت الدعوة الأباضية إلى حضرموت واليمن(٢) ، كما أثمرت جهود الدعاة فى ظهور الدعوة الأباضية فى مكة أيضًا(٣) .

واستغل الأباضية مواسم الحج فى نشر مذهبهم أبرع استغلال ؛ فمن المعروف أن الأباضية أشتهروا بكثرة حجهم ، وكان لكثير منهم فى البصرة نجائب من الإبل يحملون عليها غير القادرين من إخوانهم إلى مكة لأداء الفريضة(٤) وفى الوقت الذى كان الدعاة الأباضية ينتشرون فيه بين الحجيج ، ويقومون بنشاطهم فى الدعوة لمذهبهم ، كان فقهاؤهم يعقدون حلقات العلم والبحث والمناظرة يشرحون فيها عقائد مذهبهم وما يهدف إليه من إقامة العدالة والمساواة بين الناس ويردون على الأسئلة والاستفسارات التى توجه إليهم ،

---

(١) عن الدعوة والدعاة فى عمان انظر : العوتبى : أنساب العرب ، ورقة ١٦٧ – ١٦٨ ، سالم السيابى : طلقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الأباضى ، ٤٣ – ٥١ ، مبارك الراشدى : الإمام أبو عبيدة ، ص٢٤٨ – ٢٥٩ ، رجب عبد الحليم : الأباضية فى مصر والمغرب ، ص٢١ – ٢٣

(٢) انظر : مبارك الراشدى : الإمام أبو عبيدة ، ص٢٣٥ – ٢٤١

(٣) الدرجينى : طبقات المشايخ ، جـ٢ ص٧٣ ، ٨٠ – ٨١

(٤) الشماخى : السير ، جـ١ ، ص٨٩

وفـي نفس الوقت يعملـون علـى حـل المشـاكل التـي تحـدث بيـن جماعـات الأباضية(١) .

وكان أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى السلمى(٢) من أنشط الدعاة الأباضية وأمهرهم ، وكان يأتى من البصرة إلى مكة كل عام فى موسم الحج، ليدعو الناس للمذهب الأباضى ويحضهم على الخروج على الأمويين وخلع طاعة الخليفة مروان بن محمد (١٢٧ - ١٣٢هـ / ٧٤٤ - ٧٥٠م)(٣) ، وتشير المصادر(٤) السنية إلى أن أبا حمزة التقى عرضًا بعبد الله بن يحيى أحد زعماء قبيلة كنده المشهورين من أهل حضرموت فى مكة فى موسم الحج من عام (١٢٨ هـ / ٧٤٥م) ، وأن آراء أبى حمزة لقيت استجابة وتأييدا من عبد الله بن يحيى فاعتنق المذهب الأباضى ، واصطحب معه أبا حمزة إلى حضرموت ، وهناك بايع أبو حمزة عبد الله بن يحيى بالخلافه ، ودعا الاثنان لخلع مروان بن محمد .

ويشكك أحد المؤرخين المحدثين فى صحة هذه الرواية ؛ فيرى أنه ليس من المعقول أن ينفرد أبو حمزة - وهو أحد الدعاة - بمبايعة عبد الله بن يحيى

---

(١) الدرجينى : طبقات المشايخ ، جـ٢ ص٥٠ ، ٥٢ - ٥٣ ، ٥٩ -٦٠ ، الشماخى : السير ، جـ١ ، ص ٨٢ ، ٨٥ ، ٩٠، عوض خليفات: نشأة الحركة الأباضية ، ص١١٠

(٢) عنه انظر : الدرجينى : طبقات المشايخ ، جـ٢ ص٦٩ -٧٨ ، الشماخى : السير : جـ١ ص٩٠ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص٣٨٠ ، الزركلى : الأعلام ، جـ٢ ، ص٧ ص١٩٣ ، صالح الصوافى : أعلام عمان ، ص٣٣ - ٧١

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٩ ص٧٨ ، الأزدى : تاريخ الموصل ، تحقيق على حبيبة القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص٧٧

(٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ـ٩ ص٧٨ ، الأزدى: تاريخ الموصل ، ص٧٧ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ص٢٩٧ ، ص٧٧ ، النويرى : نهاية الأرب ، تحقيق على البجاوى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، جـ٢١ ، ص٥٣٠ - ٥٣١

بالإمامة بعد لقاء عابر خلال موسم الحج دون الرجوع لشيوخ الأباضية في البصرة ؛ والأباضية لا يبايعون أحداً بالامامة إلا بعد توافر شروط العلم والفقه ومعرفة أصول المذهب الأباضي ، وليس من المعقول أن يتم ذلك لعبد الله بن يحيى في تلك المدة القصيرة، ولهذا ، فإن المرجح أن عبد الله بن يحيى الكندي كان إباضيا قبل ذلك التاريخ ، وكان يدعو لمذهبه سرا في حضرموت ، وأن المصادر غير الأباضية قد اغفلت ذلك الأمر لجهلها بالتنظيم الأباضي في تلك المرحلة وفي تلك المنطقة[١] .

على أنه من العجيب أن المصادر[٢] الأباضية المتوفرة لدينا تناولت تلك المرحلة باقتضاب شديد ولم تفصل الحديث عنها ، وكانت في ذلك مثل بعض المصادر[٣] الغير أباضية ؛ التي تحدثت عن حركة عبد الله بن يحيى الكندي منذ إرساله لرسالته إلى زعماء الأباضية في البصرة يشرح لهم فيها الأحوال في بلده وجور العمال الأمويين وظلمهم لأهلها ، ويسأل عما يجب عليه فعله ، وكان رد هؤلاء الزعماء يحمل تأييدا واضحًا وتحريضًا شديدًا على سرعة الخروج والثورة علىالأمويين؛ فقالوا له: " إن استطعت ألا تقيم يومًا واحدًا فافعل ، فإن المسارعة إلى العمل الصالح أفضل ، ولست تدري متى يأتيك أجلك ، ولله خيرة في عباده ، يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه ، ويخصهم للشهادة إكرامًا لهم " ، ثم أوصوه بالسيرة الحسنة والسلوك الطيب .

---

(١) عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ، ص١١٧ – ١١٨

(٢) الرقيشي : مصباح الظلام ، ورقة ٣٢ ، الشماخي : السير ، جـ١ص٩١

(٣) عن رسالة عبد الله بن يحيى ورد الأباضية عليها انظر : البلاذري : أنساب الإشراف، مخطوطه بدار الكتب المصرية ، رقم ١٤٠١ ، تاريخ ، جـ٢ ورقة ٣٧٣، الأزدي : تاريخ الموصل ، ص٧٧ ، الأصفهاني : الأغاني ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، جـ٢٣ ص١١٢

وأسرع أبو عبيدة ومن معه إلى تشجيع عبد الله بن يحيى ودعمه بإرسال المال والسلاح إليه(١) ، وكذلك الرجال ، وفي الوقت الذى تشير فيه المصادر(٢) الغير أباضية إلى كثرة عدد من أتى من رجال الأباضية من البصرة للانضمام لعبد الله بن يحيى وتخص منهم بالذكر أبا حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة ، نجد الشماخى(٣) يذكر أن عدد من جاء لنصرة عبد الله بن يحيى كان اثنى عشر رجلاً فقط ، وأن قوتهم كانت فيما اتصفوا به من شجاعة وعلم ، فكتب أبو عبيدة عنهم لعبد الله بن يحيى يقول عن أبى حمزة: " إنا بعثنا لك برجل إنجيله فى صدره وأرسل إليه ببلج بن عقبة الأزدى وكتب إليه إنا بعثنا لك اثنى عشر رجلاً وألفًا يعنى بالألف بلج بن عقبة " .

ما كاد عبد الله بن يحيى يظهر أمره ويدعو الناس للبيعة حتى أقبل الناس عليه وبايعوه بالخلافة ولقبوه "بطالب الحق " ، ودون مقاومة كبيرة استطاع " طالب الحق " أن يستولى على حضرموت ، ثم يمد نفوذه على بلاد اليمن ، وكان حرصه على معاملة الناس بالعدل والحسنى سببا فى انتشار دعوته ، فأتاه الناس من كل وجه فكثرت جموعه وزادت قوته(٤) .

---

(١) تذكر المصادر الأباضية أن الأموال التى جمعت له بلغت عشرة آلاف درهم ، اشتروا ببعضها سلاحًا وأرسلوه مع ما تبقى من الأموال إلى عبد الله بن يحيى . انظر : الدرجينى ، طبقات المشايخ ، جـ٢ ص٧٢ ، الشماخى : السير ، جـ١ ص١٠٥

(٢) البلاذرى : أنساب الإشراف، جـ٢ ورقة ٣٧٣ ، خليفة بن خياط ، تاريخة ، ص٥٨٢، الأزدى : تاريخ الموصل ، ص٧٧ ، الأصفهانى : الأغانى ، جـ٢٣ ص١١٢ ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ١٩٦٥م ، جـ٥ ، ص١٠٧

(٣) السير جـ١ ص٩١

(٤) اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ص٣٣٩ ، المسعودى : مروج الذهب ، جـ٣ ص٢٥٧ ، ابن بكار : جمهرة نسب قريش تحقيق محمود شاكر ، دار العروبة ، القاهرة =

كانت السرعة التى استولى بها " طالب الحق " على حضرموت واليمن ونجاحه فى إقامة أول دوله للأباضية فى تلك البلاد وليد الظروف السياسية القائمة فى ذلك الحين . فعلى الصعيد الخارجى كانت الدولة الأموية ضعيفة ومتهالكة تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وعلى الصعيد المحلى فى اليمن كان ولاة الأمويين يعانون من ضعف سلطانهم عليها بسبب الصراعات القبلية الناشبة بين أهلها(١) . هذا بالإضافة إلى أن أهل اليمن سرعان ما اعتنقوا المذهب الأباضى الذى وجدوا فيه ضالتهم المنشودة ، فالأباضية يرون عدم قصر الخلافة على قريش وينادون بأنها حق لكل مسلم حر(٢) ، وبذلك فمن حق أى يمنى أن يتولى الخلافة ويقوم برفع ظلم وجور الأمويين عن أهل اليمن ، وقد وجدوا فى طالب الحق هذه الزعامة التى كانوا يتطلعون إليها(٣) .

= ١٣٨٦هـ، جـ١ ص٣٣٤ ، البلاذرى : أنساب الإشراف ، جـ٢ ورقة ٣٧٣ - ٣٧٥ ، الأصفهانى ؛ الأغانى ، جـ٢٣ ص١١٢ - ١١٤ ، الشماخى : السير، جـ١ ص٩١ ، فلهوزن : الخوارج والشيعة ص١٠٧ ، سالم السيابى : الحقيقة والمجاز فى تاريخ الإباضية باليمن والحجاز ، عمان ١٩٨٠م ، ص٩٥

(١) محمد الحريرى : الاتجاهات المذهبية فى اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، دار الصفا ، القاهرة ١٩٨٨م ، ص٢٩ - ٣٠

(٢) عن معتقدات الأباضية فى الخلافة انظر : الرقيشى : مصباح الظلام ، ورقة ٢٥ - ٢٦، سالم السيابى : أصدق المناهج فى تمييز الأباضية من الخوارج ، ص٢٣ ، سليمان البارونى : مختصر تاريخ الأباضية ، مكتبة الضامرى ، عمان ، ص٧٦ - ٧٧ ، وانظر ،
The Ibadi Imama, B. S. O. A. S, 1976, Vol. 39. p. 535 - 551, Rubinacci, The Ibadis Religion in the Middle East, VOL,2, PP. 302 - 317,

(٣) عصام عبد الرعوف : اليمن فى ظل الإسلام ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٤م، ص٦٠

وقبل أن ينتهى عام (١٢٩هـ / ٧٤٦م) أعد طالب الحق جيشًا وأرسله للاستيلاء على بلاد الحجاز ، والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن ، لماذا سارع طالب الحق إلى اتخاذ هذه الخطوة قبل أن تتضح حركته وتستقر أمور دولته؟

أغلب الظن أن الذى دفعه لهذا التسرع عدة أمور :

أولها : أن أخبار انتصارات العباسيين فى الشرق باستيلائهم على فارس وتقدمهم نحو العراق[١] كانت قد وصلت إلى مسامع زعماء الأباضية فى البصرة ، ومن ثم فإن زعماء الأباضية كما شجعوه على الاسراع بالخروج والثورة فى حضرموت واليمن ، فقد شجعوه على سرعة الاستيلاء على بلاد الحجاز ، توطئه للزحف على بلاد الشام لإسقاط الخلافة الأموية قبل أن يسبقهم العباسيون إلى ذلك خاصة وأن الخلافة الأموية كانت تعانى الكثير من الضعف والتدهور كما أسلفنا .

وثانيها : أن طالب الحق بعد النجاح السياسى والعسكرى الذى حققه فى حضرموت واليمن تطلع للاستيلاء على الحجاز ليبسط نفوذ الأباضية على الأراضى المقدسة ليكسب بذلك شرعية المحافظة على هذه الأراضى . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، فباستيلائه على الحجاز تكون الجزيرة العربية كلها قد خرجت من تحت سيطرة بنى أمية وأصبحت تحت سيطرة الأباضية بما يدعم موقفهم فى المناطق الأخرى من العالم الإسلامى ، ويوهن كيان الدولة الأموية[٢].

---

(١) الطبرى : تاريخ على الأمم والملوك ، ج٩ ص٨٢ - ٩٣

(٢) محمد الحريرى : الاتجاهات المذهبية فى اليمن ، ص٣٠ - ٣١

وثالثها : أن الذى شجع طالب الحق على الاسراع فى الاستيلاء على الحجاز قبل اكتمال قوته ثقته الكبيرة فى سهولة الاستيلاء على مدن هذا الإقليم حيث كان للمذهب الأباضى عدد كبير من الأنصار فى مكة بفضل جهود الداعى على بن الحصين(١) الذى تزعم الدعوة بها ، ويبدو أن أخبار هذا الداعى كانت قد وصلت لأسماع السلطات الأموية فى الشام ، فأرسل الخليفة مروان بن محمد إلى مكة من قبض عليه واقتاده إلى الشام ، ولكن أتباع ابن الحصين استطاعوا تخليصه فى الطريق قبل أن يصل إلى بلاد الشام ، وأعادوه إلى مكة فى بداية موسم الحج سنة (١٢٩هـ / ٧٤٦م)(٢) ، هذا من ناحية مكة أما المدينة المنورة ، فكان الأباضية مطمئنين إلى أن أهلها لم يكن لديهم الحماس لمقاومة الأباضية أو التعرض لهم من أجل الدفاع عن الحكم الأموى بسبب ما كان شائعًا عن سوء العلاقة بين الأمويين وأهل المدينة والتى أسلفنا الحديث عنها .

على أى حال وجه طالب الحق جيشه إلى بلاد الحجاز بقيادة أبى حمزة المختار بن عوف وبصحبته بلج بن عقبه وأبرهة الصباح الحميرى ، وزودهم بتعليمات تقضى بالاستيلاء على مكة وبقاء أبى حمزة بها ، وأمر بلج بن عقبه أن يتوجه بعد ذلك إلى بلاد الشام للقاء بنى أمية(٣) ، وفى الوقت الذى ذكرت

---

(١) كان للداعى على بن الحصين مجلسًا يقابل فيه أتباعه من الأباضية فى مكة يومى الاثنين والخميس يقوم فيه بأمر الدعوة للمذهب الأباضى : انظر : الدرجينى : طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٩ – ٨١ ، الشماخى : السير ، ج١ ص٩٣ – ٩٤

(٢) الشماخى : السير ، ج١ ص٩٢ ، سالم الحارثى : العقود الفضية فى أصول الأباضية، ص١٩٤ – ١٩٥

(٣) البلاذرى : أنساب الأشراف ، ج٢ ورقة ٣٧٥ ، ابن بكار : جمهرة نسب قريش ، ج١ ص٣٣٤ ، يحيى بن الحسين غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، تحقيق سعيد عاشور ، دار الكاتب العربى، القاهرة ١٩٦٨م، ج١ ص١٢٥، الشماخى:السير، ج١ ص٩٢-٩٣

فيـه المصـادر الأباضيـة أن عـدد جيـش أبـى حمـزة كـان سـتمائة[١] اختلفـت المصادر السنية فى عدده فذكر بعضها أنه سبعمائة والبعض الآخر ذكر أنـه تسعمائة أو ألف ومائة[٢] ، ومن الصعب على الباحث أن يقتنـع بعـدد الجيـش الذى ذكرته المصادر الأباضية فليس من المعقول أن يرسل طالب الحق جيشًا بهذا العدد الصغير ويطلب منه الاستيلاء على مكة ثم يتوجه أحد القادة بجزء من هذا الجيش للقاء الأمويين فى بلاد الشام فى عقر دارهم[٣] ، ومن الصعب أيضًا الشك فى عدد الجيش الذى ذكرته المصادر السنية ، والاحتمال الذى يمكن قبولـه لتفسير هذا الأمر أن طالب الحق كان يضع فى حسابه زيادة عدد هذا الجيش بعد وصولـه إلـى مكـة بانضمـام مـن بهـا مـن الأباضيـة ، وقـد أشـارت المصـادر[٤] الأباضية فعلاً إلى أن عدد من انضم إلى جيشه من أباضية مكة من أتباع على بن الحصين كان أربعمائة فرد ينتمـون لقبيلـة خزاعـة[٥] ، كمـا انضـم إلـى الجيـش الأباضى عدد كبير من الأزد كانوا قد جاءوا إلى مكـة مـن الموصـل لمسـاندة أبى حمزة الذى ينتمى لنفس قبيلتهم[٦] .

---

(١) الدرجينى : طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٥

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ص٩٣ ، ابن الأثير :الكامل ، ج٤ ص٣٠٧ ، الأصفهانى : الأغانى، ج٢٣ ص١١٥

(٣) عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ، ص١٢٢

(٤) الدرجينى : طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٣ - ٧٥ ، الشماخى ، السير ، ج١ ص٩٢ - ٩٣

(٥) خزاعة : قبيلة من بطون الأزد ، وسموا بذلك لأنهم انخزعوا عن قومهم حين قدموا من اليمن بسبب انهيار سد مأرب أى تخلفوا عنهم ونزلوا ظهر مكة قديمًا . انظر : ابن منظور: لسان العرب ، ج٢ ص١١٥٠ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق أحمد العزباوى ، دار الإمام على ، القاهرة ١٩٩٢م ، ج٣ ص٤٣٠

(٦) الأزدى : تاريخ الموصل ، ص٨٨

ويبدو أن طالب الحق كان قد وضع فى حسابه احتمال آخر وهو انضمام أعداد كبيرة من الحجاج من غير الأباضية بمجرد سماعهم لما ينادى به الأباضية ومعرفتهم بعدالة القضية التى يحاربون من أجلها ، ويؤكد هذا الاحتمال اختيار عبد الله بن يحيى يوم عرفة لظهور جيشه أمام الناس(١) حيث يتجمع كل الحجيج فى هذا اليوم ، وإمعانًا فى إظهار أنفسهم ولفت الانتباه إليهم ظهر الأباضية وقد رفعوا العمائم السود على أسنة الرماح ، وفعلاً أقبل الناس عليهم يسألونهم عن أمرهم ، وما ألم بهم ؟(٢) ، ولكن هذا العمل لم يأت بالتأثير المطلوب فلم تشر المصادر إلى أن أحدًا من الحجاج من غير الأباضية قد انضم إليهم ، أو اشترك فى حركتهم ، بل على العكس من ذلك أشارت المصادر(٣) إلى ارتياع الناس وخوفهم من ظهور الأباضية على هذا الشكل .

لم يكن الوالى الأموى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك مستعدًا لهذه الظروف الغير متوقعة ، فأرسل لأبى حمزة يطلب منه ضبط النفس حتى ينتهى الناس من مشاعرالحج ، فوافق أبو حمزة على هذا العرض(٤) ، ويقول اليعقوبى(٥) : أن الأباضية وادعوا

---

(١) الدرجينى : طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٣ ، الشماخى : السير ، ج١ ص٩٢

(٢) البلاذرى : أنساب الأشراف، ج٢ ورقة ٣٧٥ ، خليفة بن خياط : تاريخه ، ص٥٨٣، الأصفهانىالأغانى، ج٢٣ ص١١٧، ابن أبىالحديد : شرح نهج البلاغة ، ج٥ ص١٠٨

(٣) اليعقوبى : تاريخه ، ج٢ ص٣٣٩ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص٩٣

(٤) الأصفهانى: الأغانى، ج٢٣ ص١١٧، الدرجينى طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٣ - ٧٤

(٥) تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ص٣٣٩

عبد الواحد " يوم عرفة وأربعة أيام " ، وقالوا : " نحن بحجنا أضن وعليه أشح " فلما كانت النفرة الأولى للحجيج أسرع الوالى الأموى إلى الخروج من مكة ، فدخلها أبو حمزة بدون قتال[١] ، وأردف ذلك بالاستيلاء على الطائف[٢] .

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص٩٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ص٣٤، الفاسى: شفاء الغرام، بأخبار البلد الحرام، ص١٧٩، الدرجينى: طبقات المشايخ، ج٢ ص٧٤

(٢) البلاذرى : أنساب الأشراف ، ج٢ ورقة ٢٧٥

الفصل الثالث

موقف أهل المدينة من الخوارج الأباضية

موقعة قُدَيْد :

أحس الوالى الأموى عبد الواحد بن سليمان بمدى الخطأ الذى ارتكبه فى مكة بتركه الأباضية يستولون عليها دون مقاومة ، مما تسبب فى استياء الناس ولومهم إياه واتهامه بالتقاعس[1] ، ومن ثم تدارك هذا الخطأ وغير من موقفه فأسرع بعد وصوله إلى المدينة المنورة إلى دعوة أهلها لمعاونته فى درأ خطر الأباضية وإخراجهم من مكة ، وذلك بالتطوع فى الجيش الذى بدأ فى تجهيزه لهذا الغرض، وزادهم فى العطاء حتى يشجعهم على ذلك[2] .

وتتضارب روايات المصادر[3] حول اسم الوالى الذى قام بإعداد جيش المدينة وتجهيزه ، فتذكر أن عبد الواحد بن سليمان كتب للخليفة مروان بن محمد يخبره بغزو الأباضية لمكة ، ويعتذر له عن خروجه منها ، فغضب

---

(١) ساقت المصادر الهجاء الذى قيل فى الوالى لهروبه من مكة وهو :

زار الحجيج عصابة خالفوا	دين الاله ففر عبد الواحد
ترك الحلائل والإمارة هارباً	ومضى يخبط كالبعير الشارد
لو كان والده تنصل عرقه	لصفت موارده بعرق الوارد

انظر : الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٩ ص٩٥ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج٥ ص١٠٨ ، ابن كثير البداية والنهاية ، ج١٠ ص٣٤

(٢) الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ ص١١٩

(٣) عن هذه الروايات انظر : خليفة بن خياط ، تاريخه ، ص٥٩٢ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ص٩٦ ، الزبيرى : نسب قريش ، ص٢٥٠ ، ابن الأثير : الكامل، ج٤ ص٢٩٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٤

الخليفة عليه وعزله عن الولاية ، وولى بدلاً منه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وأمره بإعداد جيش من أهل المدينة لقتال الخوارج واسترجاع مكة ، وفى نفس الوقت تشير هذه المصادر فى رواية أخرى إلى أن عبد الواحد بن سليمان هو الذى اختار عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قائدًا للجيش ، كما تشير المصادر إلى تواجد عبد الواحد بن سليمان فى المدينة وأنه لم يغادرها إلا عند دخول الأباضية إليها ، وفى الوقت ذاته تذكر هذه المصادر أن الوالى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وقف خارج المدينة لاستعراض الجيش وتشجيع رجاله عند خروجهم للحرب ، وليس من الصعب علينا التوفيق بين هذه الروايات على الرغم من تعارضها، لاستخراج الحقيقة، فمن الواضح أن عبد الواحد بن سليمان عندما فر إلى المدينة شرع على الفور فى تجهيز الجيش وإعداده ، واختار له قائده ، وفى الوقت ذاته كتب بما حدث للخليفة ، وعندما وصل أمر الخليفة بعزله لم يغادر المدينة إلا عند اضطراره لذلك عند استيلاء الأباضية عليها ، أما عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، فهو الذى تولى اكمال استعدادات الجيش وإخراجه للحرب ، ومن ثم كان وقوفه لاستعراض الجيش والاطمئنان على أحواله عند خروجه من المدينة .

لم يكن بالمدينة أية قوة عسكرية للأمويين ، ومن ثم وقع عبء تكوين الجيش على أهل المدينة وحدهم ، ولم يتقاعس أهل المدينة عن تلبية دعوة الوالى ، فأقبلوا على المشاركة فى تكوين الجيش بحماس كبير حتى وصل عدده إلى ثمانية آلاف فرد، كان معظمهم من قريش ويليهم فىالعدد الأنصار، كما شاركت أعداد من قبائل المدينة الأخرى إلى جانب الموالى والعبيد(١) . وعلى الرغم من مبالغة المصادر الواضحة فى ذكر عدد الجيش إلا أن ذلك

---

(١) الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ ص١٢١

يبرهن على ما ذكرناه من حماس أهل المدينة وإقبالهم على الخروج لقتال الخوارج الأباضية ، بل وإصرارهم على الخروج لهذا القتال(١) ، على الرغم من وصف المصادر(٢) لهم ، بأنهم " قوم مغترون ليسوا بأصحاب حرب ، وأكثرهم تجار أغمار قد خرجوا فى المصبّغات والثياب الناعمة ، واللهو لا يظنون أن للخوارج شوكة . ولا يشكون أنهم فى أيديهم " .

ويقف الباحث متحيرًا أمام تحليل هذه العبارة التى وردت فى أكثر المصادر الغير أباضية ، فهى تحمل بعض الحقيقة ، ولكنها تحمل أيضًا ما يناقض الواقع ولا يتمشى مع المنطق ؛ فالقول بأن أهل المدينة ليسوا بأصحاب حرب وهم تجار ، قول صحيح فقد أسلفنا أن أهل المدينة قد ركنوا للسلم وانصرفوا عن الحرب وحمل السلاح بعد هزيمتهم فى موقعة الحرة سنة (٦٣هـ / ٦٨١م) ، أما القول بأن أهل المدينة قد خرجوا لحرب الخوارج وقد أخذوا زينتهم وكأنهم ذاهبون للهو لا يظنون أن للخوارج شوكة أو خطر ، واثقون من انتصارهم عليهم ، فهذا ما لا يقبله المنطق، فالمدينة المنورة ليست بالبلدة النائية أو المنعزلة التى يجهل أهلها الأحداث الجارية فى العالم الإسلامى فالحجاج والمعتمرون يردون إليها من شتى أنحاء الدولة الإسلامية، وليس من المعقول ألا يكون لدى أهل المدينة علم بأخبار الخوارج وشدة

---

(١) تروى المصادر ، ما يشير إلى إصرار أهل المدينة على الخروج للقتال ، فتذكر أن الجيش عند خروجه لقيتهم جزر منحورة فتشاءم الناس بها ، فلما كانوا بالعقيق علق لواء عبد العزيز بسمرة فانكسر الرمح فتشاءموا بذلك أيضًا . انظر : الطبرى تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٧ ، ابن أبى الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٥ ص١١٠

(٢) انظر على سبيل المثال : الطبرى تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٧ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ص٣١٤ الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ ص١١٩ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج٥ ص١١٠

مراسهم وضراوتهم فى الحروب التى اشتبكوا فيها مع الجيوش الأموية وطالت زمنًا .

هذا إلى جانب أن الجزيرة العربية كانت من الأقاليم التى تطلع الخوارج إلى السيطرة عليها ، وقد أسلفنا الإشارة إلى مشاركتهم فى الدفاع عن مكة بجانب عبد الله بن الزبير ، كما أن جماعة الخوارج النجدية أو النجدات(١) التى فضلت البقاء فى اليمامة بعد خلاف الخوارج مع عبد الله بن الزبير وعودتهم إلى البصرة سنة (٦٤هـ / ٦٨٣م)(٢) فلم تكن أخبار هذه الفرقة من الخوارج بعيدة عن أسماع أهل المدينة فقد صالت جيوشها وجالت فى أنحاء الجزيرة العربية فتوسع زعيمها نجدة بن عامر فاستولى على البحرين والقطيف والطائف وجبى الصدقات من صنعاء وحضرموت وبوادى الحجاز ، ومنع الميرة عن الحرمين ، وأغارت جيوشه على أطراف المدينة ، حتى أسر فى غاراته هذه إحدى حفيدات الخليفة عثمان بن عفان ، ولم يمنعه عن دخول المدينة إلا سماعه بتأهب عبد الله بن عمر بن الخطاب مع أهل المدينة لقتاله(٣) ، فإذا كان أهل المدينة على علم بأحوال الخوارج فكيف يتأتى أن يخرج أهل المدينة لقتالهم وهم على تلك الحالة التى وصفوا بها ، والحقيقة أن

---

(١) عن فرقة النجدات انظر : الأشعرى : مقالات الإسلاميين ،ص١٧٤ - ١٧٦ ، البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص٥٨ - ٦١ ، الشهرستانى ، الملل والنحل ، ص١٢٢ - ١٢٥

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ص٥٥ - ٥٧ ، المبرد : الكامل ، ج٣ ص٢٧٧ - ٢٨١

(٣) عن تلك الأحداث انظر : ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ص٣٥٣ ، الأشعرى : مقالات الإسلاميين ، ص١٧٦ ، فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص٧٠ - ٧٢ ،
Lewicki, op. cit. III. p 51

أهل المدينة كانوا على دراية تامة بما هم مقدمون عليه ، ومما يدلل على ذلك ما روى أن قائد جيش المدينة عبد الله بن عمرو بن عثمان طلب من غلامه شراء علف للخيل ، فقال الغلام : إن العلف غال " فقال له : ويحك ان البواكي علينا غدًا أغلى "(١) ومن الانصاف أن نذكر أن خروج أهل المدينة لقتال الخوارج الأباضية وهم أصحاب تجارة ، واستعدادهم للحرب قليل يحسب لهم وليس عليهم .

على أي الحالات خرج جيش المدينة زاحفًا في اتجاه مكة حتى وصل إلى موضع قرية بالقرب من مكة يقال لها قُدَيْد(٢) ، فأقام أهل المدينة معسكرهم بها، وكان ذلك في اليوم التاسع من صفر سنة ١٣٠هـ (أكتوبر ٧٤٧م)(٣) ، وكانت الأخبار قد تواترت لأبي حمزة عن خروج أهل المدينة لحربه ، فاستخلف على مكة أحد قواده وهو أبرهة بن الصباح الحميرى وشخص بجيشه حتى وصل إلى مقربة من قديد فعسكر بجيشه هناك(٤) .

أجمعت المصادرر(٥) الأباضية وغير الأباضية على أن الأباضية لم يكن في خطتهم التعرض للمدينة أو قتال أهلها ، ولكن خروج أهل المدينة بجيشهم على هذه الصورة أزعج أبا حمزة فقرر الخروج بنفسه لمعالجة الأمر، ومن ثم أرسل بلج بن عقبه مع وفد من ثلاثين رجلاً لمقابلة أهل

---

(١) الأصفهاني : الأغاني، ج٢٣ ص١٢٣ ، ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج٥ ص١١١

(٢) قُدَيْد : اسم موضع بالقرب من مكة . انظر : ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ص٣١٣

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٨

(٤) الفاسى : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ص١٧٩

(٥) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٨ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٥ ص٣١٤، السمهودى : وفاء الوفا ، ج١ ص١٣٨ ، الدرجيني : طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٥

المدينة والتفاهم معهم ، وسجلت لنا المصادر(١) الحوار الذى دار بين الطرفين ، فذكرت أن بلج بن عقبه خاطب أهل المدينة " فذكرهم الله وسألهم أن يكفوا عنهم وقال لهم : خلوا سبيلنا إلى الشام ، لنسير إلى من ظلمكم ، وجار فى الحكم عليكم ، ولا تجعلوا حدنا بكم ، فإنا لا نريد قتالكم ، فشتمهم أهل المدينة وقالوا : يا أعداء الله أنحن نخليكم ونترككم تفسدون فى الأرض ، فقال الخوارج : يا أعداء الله أنحن نفسد فى الأرض ، إنما خرجنا لنكف الفساد ونقاتل من قاتلنا ، واستأثر بالفئ(٢) فانظروا لأنفسكم واخلعوا من لم يجعل الله له طاعة فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فادخلوا فى السلم وعاونوا على الحق " .

ويوضح لنا هذا الحوار عدة حقائق منها : أن الأباضية لم يكن فى نيتهم قتال أهل المدينة أو التعرض لهم ، وذلك لاعتقاد الأباضية أن القضية التى خرجوا لقتال الأمويين من أجلها ، وهى ظلم الأمويين وجورهم ، واستئثارهم بأموال الدولة لأنفسهم ، هى نفسها القضية التى ثار أهل المدينة وعارضوا الحكم الأموى من أجلها منذ البداية ، ولذلك فإن الأباضية كانوا يتوقعون عون أهل المدينة لا معارضتهم ، كما أن هذا الحوار يوضح لنا أيضًا أن أهل المدينة كانوا على العكس من ذلك يرون أن الخوارج الأباضية أعداء الله المفسدين فى الأرض ويجب قتالهم .

ويبدو أن قائد جيش أهل المدينة أراد أن ينهى هذا الحوار ويزيد من حماس أهل المدينة وإصرارهم على موقفهم من الأباضية ، فأثار قضية رأى

---

(١) انظر : خليفة بن خياط : تاريخه ، ص٥٩٢ ، الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ ، ص١٢٣ - ١٢٤ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج٥ ، ص١١١ - ١١٢ ، ويورد الدرجينى : هذا الحوار باختصار . انظر : طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٥

(٢) انظر تفسيره فى الملحق رقم (١) .

الخوارج فى عثمان بن عفان ؛ فسأل بلج بن عقبه : ما تقول فى عثمان ؟ فرد عليه قائلاً : قد بـرئ المسلمون (الأباضيـة) منـه قبلـى . وأنـا متبـع آثـارهم ومقتد بهم(١) ، قال : فارجع لأصحابك فليس بيننا وبينهم إلا السيف(٢) .

ومن هنا أيضًا نرى أن اختيار والى المدينة لقيادة الجيش شخصًا ينتسب لعثمان بن عفان رضى الله عنـه لـم يـأت مصادفـة ، ولكـن كـان الهـدف مـن ورائـه اختيـار قـائد يملـك الدافـع الشـخصى لخـوض الحـرب ضـد الخـوارج الأباضية بحماس ، ولم يغب هذا الأمر على أبى حمزة ، فاتخذ منه هو الآخـر حافزًا حض به جنده على القتال حيث قـال لهـم : " إنكـم ملاقـوا القـوم غـدًا ، وأميرهم فيما بلغنى ابن عثمان (بـن عفـان) أول مـن خـالف سـنة الخلفـاء ، وبدل سنة رسول الله ﷺ ، وقد وضح الصبح لذى عينين ، فأكثروا من ذكـر الله وتلاوة القرآن ، ووطنوا أنفسكم على الموت "(٣) .

تذرع أبو حمزة بالصبر عندما عـاد أصحابـه وعلـم منهـم بموقـف أهـل المدينة . فأصدر أمره بألا يكون جيشه هو البادئ بالقتال ، ودفع الحماس أهـل المدينة أن يبدأوا القتال ، فجرحوا برميـة مـن أحدهـم أحـد رجـال الأباضيـة ، وعندئذ بدأ القتال وثبت كل منهم أمام الآخر ، حتى انكشف أهل المدينـة ، فلـم يتبعهم الأباضية ، فلم يلبث أهل المدينة أن كروا على الأباضية ، فقاتلوا قليـلاً ثم انهزموا ، فلم يبعدوا حتى كـروا علـى الأباضيـة للمـرة الثالثـة ، وفـى تلـك

---

(١) انظر رأى الأباضية فى الخليفة عثمان بن عفان من خلال ما ورد فى رسالة عبد الله بن أباض للخليفة عبد الملك بـن مـروان . القلهـاتى : الكشـف والبيـان ، ج١ ص٨٩ - ٩١ ، البرادى : الجواهر المنتقاه ، ص١٥٦ - ١٦٧ ، سالم الحارثى : العقود الفضيـة فى أصول الأباضية ، ص١٢٣ - ١٢٨ ، ويطلق الأباضية على انفسـهم المسـلمون أو أهل الدعوة أو أهل الاستقامة .

(٢) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج٥ ص١١٢

(٣) البلاذرى: أنساب الأشراف ، ج٢ ورقة٣٧٧ ، الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ ص١٢٣

المرة استمات الفريقان فى القتال، وصبر كل منهما أمام الآخر ، واستبسل أهل المدينة وأبلوا فى القتال بلاء حسنًا ، ووصفت المصادر(١) صبرهم فى القتال، فقال صاحب الأغانى(٢) : " وقتل يومئذ أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، خرج يومئذ مقنعًا ، فما كلم أحدًا وقاتل حتى قتل " ، كما قال أن عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير قال لابنه : " أى بنى تقدم فقاتلا حتى قتلا " ، وعلى الرغم مما أبداه أهل المدينة من بساله فى القتال إلا أن كفة الأباضية رجحت فى النهاية ، فقتلوا عبد العزيز بن عبد الله بن عثمان قائد جيش المدينة ، وأعملوا القتل فى أهل المدينة حتى لم يتبق منهم إلا من شرد أو أسر(٣) .

وتشير المصادر(٤) غير الأباضية إلى الخلاف الذى وقع بين أبى حمزة وبين على بن الحصين زعيم الأباضية بمكة بشأن الجرحى والمنهزمين من أهل المدينة ، فقد رأى ابن الحصين أن يتبع المنهزمين من أهل المدينة فيقتلهم ويجهز على الجرحى وقال : " فإن هؤلاء شر علينا من أهل الشام ، فلو قد جاءوك غدًا لرأيت من هؤلاء ما تكره " . ولكن أبا حمزة رفض هذا الرأى وقال : " لا أفعل ولا أخالف سيرة أسلافنا " ، ولكن ابن الحصين نفث عن

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخه ، ص٥٩٤ - ٥٩٥ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٧ - ١٠٨ ابن بكار : جمهرة نسب قريش ، ص٣٣٤ - ٣٣٦ ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ص٣١٤

(٢) الأصفهانى : ج٢٣ ص١٢٠ ، ١٢٤ - ١٢٥

(٣) البلاذرى : أنساب الأشراف ، ج٢ ورقة ٣٧٨ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٨ ، الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ ص١٢٤ - ١٢٥

(٤) البلاذرى : أنساب الأشراف ، ج٢ ورقة ٣٧٨ خليفة بن خياط : تاريخه ، ص٥٩٢ - ٥٩٣ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج٥ ص١١٢ - ١١٣

غضبه من أهل المدينة " فدعا بمن وقع فى الأسر منهم ، فكان إذا رأى من قريش رجلاً قتله ، وإذا رأى رجلاً من الأنصار أطلقه " . ولا ندرى لماذا سمح أبو حمزة بهذا التصرف الذى أقدم عليه ابن الحصين؟ رغم ما فيه من مخالفة صريحة لأوامره ، ومبادئ الأباضية ، ولكن يبدو أن ابن الحصين كان يتمتع بقوة كبيرة يستند فيها لكثرة أتباعه الذين خرجوا معه من مكة وشاركوا فى موقعة قديد(١) ، ويبدو أن هؤلاء الأتباع الذين ينتمون لقبيلة خزاعة اليمنية كما ذكرنا(٢) قد قاموا بدور فعال فى القتال مما أثار روح العصبية لدى أهل المدينة من القرشيين فاتهموهم بأنهم سبب هزيمتهم فقال الطبرى(٣): " واتهمت قريش خزاعة أن يكونوا داهنوا الحرورية " ، ويبدو أن ابن الحصين عندما فرق فى معاملة أسرى المدينة فلم يقتل من ينتمى منهم إلى الأنصار كان ذلك بدافع العصبية ومرضاة أتباعه الذين يشتركون مع الأنصار فى أصولهم اليمنية من ناحية والتقرب من أهل المدينة من الأنصار من ناحية أخرى(٤) .

كان مصاب أهل المدينة فى موقعة قُدَيْد عظيمًا ، فما بقى فيها بيتًا إلا وكان فيه قتيل حتى وصل عدد قتلاهم على ما ذكرته المصادر الأباضية(٥)

---

(١) الدرجينى : طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٥

(٢) انظر الدرجينى : طبقات المشايخ، ج٢ ص٧٣ - ٧٥ ، الشماخى : السير ، ج١ ص٩٢ - ٩٣

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٨

(٤) يرجع نسب الأنصار إلى قبيلتى الأوس والخزرج اليمنيتين اللتين نزحتا إلى يثرب (المدينة المنورة) قبل الإسلام وعاشتا بها مع أهلها من اليهود . انظر : ابن هشام: سيرة ابن هشام، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ج١ ص١٠ ، ١٢

(٥) الدرجينى : طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٥ ، الشماخى : السير ، ج١ ص٩٣

إلى أربعة آلاف قتيل ، وإلى ألفين ومائتين وثلاثين رجلاً على ما ذكرته المصادر غير الأباضية(١) ويزودنا خليفة بن خياط(٢) بقائمة طويلة يثبت بها أسماء من قتل من الشخصيات البارزة أثناء المعركة مما يلقى الضوء على إصابة أهل المدينة الفادحة ، ويصور ابن الأثير(٣) مصاب أهل المدينة بعد انتهاء معركة قديد فيقول : " وقدم المنهزمون المدينة ، فكانت المرأة تقيم النوائح على حميمها ومعها النساء ، فما تبرح النساء حتى تأتيهم الأخبار عن رجالهن فيخرجن امرأة امرأة ، كل واحدة منهن تذهب لقتل رجلها ، فلا تبقى امرأة لكثرة من قتل " .

سياسة أبى حمزة فى المدينة المنورة :

أصبح الطريق إلى المدينة المنورة ممهدًا ، فسار الأباضية إليها ودخلوها فى اليوم الثالث عشر من صفر سنة (١٣٠هـ / ٢٣ أكتوبر سنة ٧٤٧م) ، وظلوا مسيطرين عليها قرابة الثلاثة أشهر - على أرجح

---

(١) الزبيرى : نسب قريش ، ص٢٥٠ ، الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ ص١٢٥ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ج٥ ص١١٣ ، السمهودى : وفاء الوفا ، ج١ ص١٣٩

(٢) تاريخه ، ص٥٩٣ - ٥٩٥

(٣) الكامل ، ج٤ ص٣١٤ ، وأورد الطبرى شعرًا لأهل المدينة فى رثاء قتلاهم ، فقالوا :

يالهف نفسى ولهفى غير كاذبة	على فوارس بالبطحاء أنجاد
عمرو وعمرو وعبد الله بينهما	وابناهما خامس والحارث السادى

ولبعضهم شعر آخر :

مالقديد وماليه	أفنت قديد رجاليه
فلأبكين سريرة	ولأبكين علانية
ولأبكين إذا شحنت	مع الكلاب العاوية

انظر : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٧ ، ١٠٩

الروايات(١) - حتى استطاع أهلها إخراجهم منها وإعادتها لسلطان الأمويين ، وعلى الرغم من أن الأباضية لم يكن فى خطتهم الاستيلاء على المدينة كما أسلفنا ، إلا أن الواضح أن انتصارهم فى موقعة قديد قد غير من خطتهم هذه، ولا شك أن أبا حمزة قد رأى بثاقب بصره إمكانية الاستفادة من قرب المدينة المنورة من بلاد الشام فقرر أن يتخذ منها قاعدة ينطلق منها جيشه لغزو هذه البلاد ، بل يبدو أن طموحه دفعه للطمع فى اقناع أهل المدينة للانضمام إلى جيشه ، ومن ثم قرر البقاء فى المدينة فترة لتنفيذ ما رآه ، وبدأ فى تنظيم شئون المدينة ليسهل له السيطرة عليها ؛ فعين عليها أحد أعوانه ، وهو عبد الله بن عمر السراقى صاحبا للشرطة(٢) .

كان أبو حمزة على دراية بأحوال أهل المدينة ، كما كان على علم بتاريخ علاقتهم بالأمويين ، حيث سبق له التردد على المدينة العديد من المرات ، ولمس بنفسه أحوالها ، فقد كان أبو حمزة كما ذكرنا يأتى من البصرة إلى بلاد الحجاز كل عام ليمارس نشاطه فى الدعوة ، ولم يقتصر أبو حمزة فى نشاطه هذا على مكة فقط ولكنه كان يمارس نشاطه فى الدعوة أيضًا فيما حول مكة ، وفى الطريق الموصل إلى المدينة المنورة وتذكر المصادر(٣): أن أبا حمزة ردد دعوته وهو فى طريقه إلى المدينة عند اجتيازه

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٩، ابن الأثير : الكامل ج٤ ص٣١٥ ، ويذكر يحيى بن الحسين أن أبا حمزة ظل بالمدينة أربعة أشهر. انظر: غاية الأمانى، ج١ ص١٢٥

(٢) الأصفهانىالأغانى ، ج٢٣ ص١٢٦، ابن ابىالحديد؛ شرح نهج البلاغة، ج٥ ص١١٣

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص٧٨ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ص٢٩٧ ، النويرى : نهاية الأرب ، ج٢١ ص٥٣١

معدن بنى سليم[١] ، فلما سمعه عامل الأمويين على المعدن قبض عليه ، وجلده أربعين جلدة ، كما أن أبا حمزة أشار فى إحدى خطبه إلى تردده على المدينة فى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣م) بدليل ووقوفه على الضائقة التى ألمت بأهل المدينة لسبع سنوات متوالية، ومعرفته بخبر ارسال أهل المدينة وفدًا منهم لمقابلة الخليفة لاعفائهم من الخراج[٢] .

وترتب على معرفة أبى حمزة لأحوال أهل المدنية أن خطته التى وضعها لاجتذاب أهل المدينة للدعوة الأباضية اعتمدت على التقرب منهم وفى الوقت ذاته تنفيرهم من الأمويين بإحياء ذكرى الخلاف الذى كان بينهم وبين الأمويين مع إبراز مساوئ الحكم الأموى ، وبدأ أبو حمزة ذلك بمعاملة أهل المدينة معاملة حسنة ، فأحسن السيرة فيهم واستمالهم ، فزال نفورهم منه واستكانوا لحكمه[٣] ، وعندئذ بدأ فى تنفيذ الشق الثانى من خطته ، وهو دعوة أهل المدينة للانضمام إليه ، واعتناق آراءه ، واستغل أبو حمزة اجتماع أهل المدينة للصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ ، وبكل ما كان لديه من فصاحة وطلاقة ، ومقدره على الشرح والبيان، والجدل والحجة والاقناع[٤]

---

(١) معدن بنى سليم ويسمى معدن فران : موقع من أعمال المدينة على طريق نجد به مياه ومعادن وتقع به مساكن بنى سليم وكان به عامل من قبل الأمويين . انظر : ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ص٢٤٥ ، ج٥ ص١٥٤

(٢) الزبيرى : نسب قريش ص١٧٠ ، ص١٨٠ ، الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ ص١٣٠ - ١٣١

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٩

(٤) كان أبو حمزة يملك ناصيه البيان فوصفه أبو عبيدة زعيم الأباضية بأنه رجل إنجيله فى صدره . انظر : الشماخى السير ، ج١ ص٩١

داوم على إلقاء الخطب فى أهل المدينة طوال الفترة التى سيطر فيها على المدينة ، وقد حفظت لنا المصادر الأباضية وغير الأباضية(١) هذه الخطب التى تعد من الوثائق الهامة لكل من يبحث فى تاريخ الأباضية عامة والفترة التى سيطر فيها الأباضية على المدينة خاصة ، فقد حدد فيها أبو حمزة معالم سياسته ، وضمنها الكثير من العقائد والأفكار التى تدين بها الأباضية، كما أن هذه الخطب ساعدتنا على تتبع سير الأحداث فى المدينة ، حيث أن المصادر الأباضية وغير الأباضية تناولت فترة وجود الأباضية فى المدينة بإيجاز شديد، وفى سياق الحديث عن انتهاء أمر دولة طالب الحق .

ذكر الطبرى(٢) أن أبا حمزة ألقى خطبته الأولى فى أهل المدينة بعد دخوله المدينة مباشرة ، ولا زالت جراح أهلها حية لما حدث لهم فى موقعة قديد ، وفى هذه الخطبة تظهر مهارة وذكاء أبى حمزة ، فنجده يحاول مسح هذه الجراح ، وامتصاص غضب أهل المدينة بعتابهم وإلقاء مسئولية ما حدث من قتال فى موقعة قديد عليهم ، فأعاد الحوار الذى دار بينهم وبين الوفد الذى أرسله إليهم قبل الموقعة ، وذكرهم بأنهم أى أهل المدينة هم الذين اختاروا الحرب دون الأمويين ، وأظهر فى خطبته هذه عجبه من موقف أهل المدينة المؤيد للأمويين مع ما عانوه من ظلم وجور على أيدى ولاتهم .

---

(١) أوردت المصادر خطب أبى حمزة مع اختلاف بسيط فى اللفظ . عنها انظر : الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٨ - ١٠٩ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ص٣١٤ - ٣١٥ ، الأصفهانى الأغانى ، ج٢٣ ص١٣٠ - ١٣٩ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج٥ ص١١٤ - ١٢٠ النويرى : نهاية الأرب ، ج٢١ ص٥٣٣ - ٥٣٤ الدرجينى : طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٧ - ٧٩ ، انظر الملاحق .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٧

ولا يخفى علينا ما فى هذا القول من ذكاء ، فقد أراد أبو حمزة أيغار صدر أهل المدينة على الأمويين بتذكيرهم بما كان بينهم وبين الأمويين من عداء ، واستعمل أبو حمزة فى خطبته هذه أسلوب غاية فى الاقناع ، فكان يسأل أهل المدينة السؤال ، ويتخذ من إجابتهم حجة يسوقها للتأكيد على صحة قوله ، فيقول : " يا أهل المدينة سألناكم عن ولاتكم هؤلاء ، فأسأتم لعمر الله فيهم القول ، وسألناكم هل يقتلون بالظن فقلتم نعم ، وسألناكم هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام فقلتم لنا نعم، فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم نناشدهم الله ألا تنحوا عنا وعنكم ، فقلتم لا يفعلون فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم نقاتلهم فإن نظهر نحن وأنتم نأت بمن يقيم فينا وفيكم كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، فقلتم لا نقوى ، فقلنا لكم فخلوا بيننا وبينهم فإن نظفر نعدل فى أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم محمد ﷺ ونقسم فيئكم بينكم فأبيتم وقاتلتمونا دونهم فقاتلناكم فأبعدكم الله وأسحقكم"(١) ثم يذكرهم بما عانوه فى ظل حكم الأمويين فيقول : " يا أهل المدينة مررت بكم فى زمان الأحول هشام بن عبد الملك وقد أصابتكم عاهة فى ثماركم ، فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم ، فكتب بوضعها عنكم ، فزاد الغنى غنى وزاد الفقير فقرًا ، فقلتم: جزاك الله خيرًا فلا جزاه الله خيرًا ولا جزاكم "(٢) .

ويبدو أن أبا حمزة لم يجد لدى أهل المدينة رد الفعل المناسب الذى كان يرجوه من أهل المدينة نحو الأمويين ، فحاول فى خطبته التالية أن يبين لهم

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٧ ، الدرجينى : طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٨

(٢) الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ ، ص١٣٠ من المعروف أن أهل المدينة ليس عليهم خراج فى زروعهم والمقصود هنا الصدقات التى كان الأمويون يجمعونها منهم ، واشتدوا فى جمعها ، انظر : السمهودى : وفاء الوفا ، ج٢ ص٥١١

أن انتشار الظلم ، وتصدى الأمويين بالأذى لكل من ينادى بالحق والعدل هو السبب الذى خرج الأباضية على الأمويين من أجله ، وأن الأباضية بخروجهم هذا ليس لديهم أى هدف أو مصلحة شخصية يريدون تحقيقها لأنفسهم فقال : " يا أهل المدينة إنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ولا بطرا ولا عبثا ولا لهوا ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه، ولا ثأر قديم نيل منا ، ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت ، وعنف القائل بالحق وقتل القائم بالقسط ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسمعنا داعيًا يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعى الله "(١) .

ثم يتجه أبو حمزة بعد ذلك فى خطبته إلى وصف أصحابه ومدى رقة حالهم، والتقشف الذى يعيشون فيه ، ومع ذلك فقد خرجوا لنصرة الحق والقضاء على الظلم فقال : " فأقبلنا من قبائل شتى ، النفر منا على بعير واحد، عليه زادهم وأنفسهم ، يتعاورون لحافًا واحدًا ، قليلون مستضعفون فى الأرض ، فآوانا الله وأيدنا بنصره ، وأصبحنا - والله حميد - بنعمته إخوانًا ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم مروان وآل مروان ، شتان لعمر الله ما بين الغى والرشد "(٢) .

ثم يحاول أبو حمزة التعريض بسياسة الأمويين المالية وهو يعلم تمامًا أن أهل المدينة قد عانوا من هذا الأمر ، فيتهم الأمويين بالاستيلاء على أموال

---

(١) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج٥ ص١١٤ ، الدرجينى طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٧

(٢) الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ ص١٣١ ، النويرى : نهاية الأرب ، ج٢١ ص٥٣٤ ، الدرجينى : طبقات المشايخ، ج٢ ص٧٧ ، انظر شرح معانى الكلمات فى الملحق رقم (٢).

المسلمين لأنفسهم بدون وجه حق فيقول : " يا أهل المدينة أخبرونى عن ثمانية أسهم(١) فرضها الله تعالى فى كتابه على القوى - على حبه - للضعيف ، فجاء التاسع وليس له منها ولا سهم واحد ، فأخذ جميعها لنفسه ، مكابرًا محاربًا لربه ، ما تقولون فيه ، وفيمن عاونه على فعله؟(٢) .

ولم يترك أبو حمزة قولاً لاقناع أهل المدينة بصحة رأى الأباضية ودعوتهم إلا وطرقه فى خطبه ، فساق فيها الأمثلة التى توضح مدى مخالفة حكم الأمويين لنموذج الحكم الذى أقامه الرسول ﷺ وسار عليه أبو بكر وعمر من بعده ، فاستعرض فى خطبة له سيرة الرسول ﷺ وأبى بكر وعمر، ثم استعرض سيرة الخليفتين عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وبين مآخذ الأباضية عليهما وما نقموه عليهما ثم استعرض أعمال الخلفاء الأمويين ، وأنحى باللائمة عليهم ماعدا عمر بن عبد العزيز، فذكرسوء سيرة بعضهم وفساد أعمالهم ، وظلمهم الرعية ، ثم ختم خطبته بتوجيه اللوم لرعيتهم التى استسلمت لهم على ما هم عليه فقال : " أصابوا امرة ضائعة وقومًا طغاما جهالا لا يقومون لله بحق ، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ، ويرون أن بنى أمية أرباب لهم ، فملكوا الأمر وتسلطوا فيه تسلط ربوبية ، بطشهم بطش الجبابرة ، يحكمون بالهوى ويقتلون على الغضب ، ويأخذون بالظن ، ويعطلون الحدود بالشفاعات ، ويؤمنون الخونة ويقصون ذوى الأمانة ،

---

(١) يقصد بالأسهم الثمانية الإشارة إلى مصارف الزكاة الثمانية التى فرضها الله تعالى بقوله : { إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم } انظر: سورة التوبة آية (٦٠)

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٨ - ١٠٩ ، الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ص١٣٢ ، الدرجينى : طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٨

ويأخذون الصدقة فى غير وقتهـا علـى غير فرضهـا ، ويضعونهـا فـى غير موضعهـا ، فتلك الفرقة الحاكمـة بغـير مـا أنــزل اللـه ، فالعنـوهـم لعنهـم اللـه "(١) .

لمس أبو حمزة عدم استجابة أهل المدينة له كما تأكد له عدم ميلهم إليـه هو وأصحابه على الرغـم مـن حسـن معاملتـه لهـم ، ومـا بذلـه مـن جهـد فـى اقناعهم بصحة دعوته ، وقد بدا ذلك واضحًا فى تغير أسلوبه معهـم ، فنلمـس فى خطبه التالية طابع التهديد والوعيد أحيانًا ، والسب واللعن لهـم فـى أحيـان أخرى ، فقال لهم : " يا أهل المدينة مالى رأيت رسم الدين فيكـم باقيـا وآثـاره دارسة ؟ لا تقبلون عليه عظة ولا تفقهون من أهله حجة ، قد بليت فيكم جدته، وانطمست عنكم سنته ، ترون معروفه منكرًا والمنكر من غيره معروف ، إذا انكشفت لكم العبر ، وأوضحـت لكـم النـذر عميت عنهـا أبصـاركم ، وصمـت أسماعكم ساهين ، فى غمره لاهين فى غفله(٢) ، ثم يقول : " يـا أهـل المدينـة أن أولكم خير أول ، وآخركم شر آخر " " لبئس الخلـف أنتـم مـن قـوم مضـوا فيكم "(٣) ، ثم يتجه أبو حمزة للتنديد بأهل المدينة ويظهـر حنقـه خاصـة علـى الأنصـار وأنهم كان يجب عليهم أن يوافقوه على موقفه من الأمويين أسوة بمـا فعله آباؤهم حين آووا الرسول ﷺ ونصروه فقال : يا أهـل المدينـة إن داركـم دار هجرة ومثوى رسول الله ﷺ لما نبت بـه داره وضـاق بـه قـراره ، وآذاه الأعداء وتجهمت له ، فنقله إليكم بل إلى قوم لعمرى لم يكونوا أمثالكم " ..... " وأنتم أبناؤهم ومـن بقـى مـن خلفهـم ، تـتركون أن تقتـدوا بهـم ، أو تـأخذون

---

(١) الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ ص١٣٧ – ١٣٨

(٢) الأصفهانى : المصدر نفسه ، ج٢٣ ص١٣٣

(٣) الأصفهانى : الأغانى ،ج٢٣ ص١٣٢ ، الدرجينى : طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٨

بسننهم، عمى القلوب صم الآذان ، اتبعتم الهوى ، فأرداكم عن الهدى ، وأسهاكم " ثم لعن أقوامًا منهم(١) .

لم يكن لدى أهل المدينة القوة التى يردون بها على هذه اللعنات التى صبها أبو حمزة عليهم ، ولكنهم ردوا عليه بطريقة أخرى كانت أشد وقعًا على نفسه وعلى أصحابه ، فقد عمد أهل المدينة إلى التنفيث عن غضبهم باتخاذهم من أبى حمزة وأصحابه مادة للسخرية والاستهزاء ، فكانوا يسخرون فيما بينهم من حداثه سن الأباضية وسطحيتهم ، وعدم عمق فهمهم للأمور ، وعدم تقديرهم لنتائج ما يقدمون عليه ، حيث صورت لهم أحلامهم قدرتهم على تحقيق ما ليس فى استطاعتهم وعابوا عليهم خشونتهم وجفوتهم وشدتهم(٢) ، ولما بلغ أبو حمزة هذا القول من أهل المدينة استشاط غضبًا واعتلى المنبر وخطب فى أهل المدينة خطبة شديدة اللهجة ، بالغ فيها فى تقريعهم ولومهم ، فقال : " قد بلغتنى مقالتكم فى أصحابى، ولولا معرفتى بضعف رأيكم وقلة عقولكم لأحسنت أدبكم... يا أهل المدينة بلغنى أنكم تنتقصون أصحابى قلتم : شباب أحداث ، وأعراب جفاة ويحكم يا أهل المدينة"(٣) ، ثم دافع عن أصحابه فشبههم بأصحاب رسول الله ﷺ واتفاقهم معهم فى الصفات فقال : " وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شبابًا أحداثًا، شبابًا والله مكتهلون فى شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أقدامهم ، قد باعوا أنفسا تموت غدًا ، بأنفس لا تموت أبدًا ، قد خلطوا كلالهم بكلالهم(٤) ، وقيام ليلهم بصيام نهارهم ، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن،

---

(١) الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ ص١٣٤ - ١٣٥

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٩

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ص٣١٥

(٤) انظر الشرح فى الملحق رقم (٢)

كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفًا من النار، وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقًا إلى الجنة " ، ثم تحدث عن شجاعتهم وبلائهم فى الحروب ورغبتهم فى الشهادة(١) .

لم يستطع أبو حمزة رغم الوسائل المتعددة التى لجأ إليها أن يؤثر فى أهل المدينة فلم نجد فى المصادر الأباضية وغير الأباضية التى بين أيدينا ما يشير إلى انتشار دعوته بينهم أو وجود من تبعه أو اعتنق المذهب الأباضى إلا قلة قليلة ويشير الأصفهانى(٢) لذلك بقوله : " بلغنى أنه بايعه بالمدينة ناس منهم إنسان هذلى وإنسان سراقى وبشكست الذى كان معهم معلم النحو " ولم يشر الأصفهانى ولا غيره لأى دور قام به هؤلاء الأشخاص الثلاثة لمساعدة الأباضية فى المدينة إلا فيما عدا ذكر اسم صاحب الشرطه الذى ولاه أبو حمزة على المدينة وهو عبد الله بن عمر السراقى(٣) ، ومن المرجح أنه نفس الشخص الذى سماه الأصفهانى بالسراقى ، أما الهزلى وبشكست فلم نعثر لهما على ترجمة ، ولكن الواضح من اسم بشكست أنه لم يكن من أهل المدينة ، أما المصادر الأباضية(٤) ففى الوقت الذى لم تشر فيه إلى وجود من تبع أبى حمزة من أهل المدينة بعد دخوله إليها أشارت فقط إلى شخصين هما محمد ابن سلمة المدنى ، ومحمد بن حبيب المدنى ، على أنهما اعتنقا المذهب الأباضى فى تاريخ سابق لدخول الأباضية إلى المدينة وأنهما كانا يذهبان إلى

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١٠٩ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة، ج٥ ص١١٥ - ١١٦

(٢) الأغانى ، ج٢٣ ص١٣٩ وانظر أيضًا : ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ص٣١٥

(٣) عبر أهل المدينة عن كرههم لوجود الأباضية فىمدينتهم فكانوا يقولون: " لعن الله السراقى ولعن الله بلجا العراقى " . انظر : ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج٥ ص١١٣

(٤) تروى هذه المصادر أن أبا عبيدة كان لا يقوم من مجلسه لمن يأتيه فى خيمتة إلا لمحمد بن سلمة ومحمد بن حبيب المدنيين احتفاء بهما لأنهما من مدينة رسول الله ﷺ وكان يعانقهما. انظر الدرجينى: طبقات المشايخ ، ج٢ ص٥٠ ، الشماخى: السير ، ج١ ص٩٠

مكة لحضور مجالس أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة عندما كان يأتى للحج ويعقد مجالس الدعوة فى خيمته ، ولكن هذه المصادر لم تذكر لأى من هذين الشخصين أى دور يذكر فى الأحداث خلال الفترة التى سيطر الأباضية فيها على المدينة ، مما يثير الشك فى صحة هذه الرواية .

موقعة وادى القرى :

شرع الخليفة الأموى مروان بن محمد عندما بلغه اجتياح الأباضية لبلاد اليمن وحضرموت ، واستيلائهم على إقليم الحجاز فى العمل على درأ هذا الخطر بإعداد قوة عسكرية كبيرة بلغ عددها أربعة آلاف فارس من العرب القيسية بالشام ، وجهز هذه القوة بالخيل والبغال والأسلحة والأموال(١) " وعدة لم ير مثلها فى ذلك الزمان "(٢) ، وأسند قيادة هذا الجيش لأحد رجاله وهو عبد الملك بن عطية السعدى ، وزوده بتعليمات تقضى بقتال الخوارج الأباضية فى بلاد الحجاز وتتبعهم حتى بلاد اليمن لاستئصال شأفتهم(٣) . وسار الجيش الأموى متجهًا إلى إقليم الحجاز حتى وصل إلى مقربة من المدينة المنورة فأقام معسكره بقرية تسمى العُلا(٤) ومنها أرسلت العيون لتستطلع أحوال الأباضية فى المدينة(٥) .

---

(١) البلاذرى: أنساب الأشراف ، ج٢ ورقة ٣٧٨ ، خليفه بن خياط ، تاريخه ، ص٥٩٥ ، ويذكر الدرجينىأن الجيش كان عدده ستة آلاف مقاتل، انظر: طبقات المشايخ ، ج٢ ص٧٠

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١١٠

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ص٣٦ ، السيابى : الحقيقة والمجاز فىتاريخ الأباضية باليمن والحجاز ، ص١٠٤

(٤) العُلا : بضم أولها وهى موضع من نواحى وادى القرى تقع على الطريق الموصل لبلاد الشام . انظر : ياقوت : المعجم البلدان ، ج٤ ص١٤٤

(٥) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ص١١٠ ، الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ ص١٤٠

أدرك أبو حمزة خطورة بقائه هو وجيشه داخل المدينة في حالة تعرضه للهجوم من جانب الجيش الأموى ، عندئذ سيكون كمن وضع نفسه بين شقى الرحى ، أهل المدينة من الداخل - والتى تشير كل الدلائل إلى عدم ميلهم للأباضية ورغبتهم فى التخلص من وجودهم - والجيش الأموى من الخارج ، ومن ثم قرر أبو حمزة مقابلة الجيش الأموى خارج المدينة ، وقبل أن يخرج بجيشه منها أعلن عن أسفه وحزنه الشديد لفشله فى استمالة أهل المدينة واقناعهم بعدالة قضيته ، فوقف فيهم خطيبًا وقال لهم : " يا أهل المدينة إنا خارجون لحرب مروان ، فإن نظهر نعدل فى أحكامكم ، ونحملكم على سنة نبيكم ونقسم بينكم ، وإن يكن ما تمنون لنا ، فسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون "(١) . ويبدو أن أبا حمزة كان يأمل فى الانتصار على الجيش الأموى والعودة إلى المدينة مرة أخرى ، فاستخلف عليها أحد رجاله ويدعى المفضل وتركه فى المدينة فى عدد من أصحابه ، وخرج منها مع جيشه فى جمادى الأولى سنة (١٣٠هـ / ٧٤٧م)(٢) .

لم يبتعد أبو حمزة كثيرًا عن المدينة حيث عسكر بقواته على مقربة منها ، وأرسل فرقه من جيشة قوامها ستمائة رجل بقيادة بلج بن عقبه للقاء الجيش الأموى ويبدو أن هدفه من إرسال تلك الفرقة كان اختبار قوة الأمويين، والتقى الطرفان فى موقع يقال له وادى القرى(٣) ، وكعادة الخوارج

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ص١٤٦ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج٥ ص١٢٣

(٢) الأصفهانى : الأغانى ، ج٢٣ ، ص١٤١

(٣) وادى القرى : واد كثير الزرع والقرى من أعمال المدينة المنورة ويقع على الطريق بين المدينة وبلاد الشام ، انظر : ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ص٣٣٨ - ٣٣٩

الأباضية أن يتحاوروا مع خصومهم قبل الاشتباك معهم فعل ذلك بلج بن عقبة، ويقول الأصفهاني(١) " فتواقفوا ودعاهم بلج إلى الكتاب والسنة ، وذكر بني أمية وظلمهم ، فشتمهم أهل الشام ، وقالوا : أنتم يا أعداء الله أحق بهذا ممن ذكرتم وقلتم " ، وانتهت تلك المحاورة باشتباك الطرفين ، وفي البداية رجحت كفة الأباضية في القتال ، ولكن القائد الأموي استطاع أن يصمد هو وجماعة من جنده ، ونادى على جيشه وحضه على الصبر في القتال ، حتى دارت الدائرة على الأباضية فقتل بلج بن عقبه ومعظم جيشه(٢) ، وتقهقرت طائفة بلغت المائة من رجال الأباضية ، فاعتصموا بجبل لم تذكر المصادر اسمه ، فظل ابن عطية ومن معه يلحون في قتالهم ثلاثة أيام على التوالي حتى أفنوا منهم سبعين فردًا ، وفر الباقون إلى معسكر أبي حمزة ، وقد جزعوا لاقدامهم على الفرار وقالوا لأبي حمزة : " فررنا من الزحف ، فطمأنهم أبو حمزة وقال لهم : لا تجزعوا فأنا لكم فئة وإلى تحيزتم "(٣) .

عندئذ وجد أبو حمزة ألا قبل له بمواجهة الجيش الأموي بعد هذه الهزيمة التي منى بها بلج بن عقبة ومن معه ، كما أنه وجد ألا جدوى من طلب المساعدة من أهل المدينة ، ففضل ألا يتقابل مع الجيش الأموي في ذلك

---

(١) الأغاني ، جـ٢٣ ص١٤١

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ، جـ٢ ورقة ٣٨٠ ، خليفة بن خياط ، تاريخه ص٥٩٥ ، السمهودي : وفاء الوفا ، جـ١ ص١٣٩ ، الدرجيني : طبقات المشايخ ، جـ٢ ص٧ ، سالم السيابي : الحقيقة والمجاز في تاريخ الأباضية باليمن والحجاز ، ص١١١

(٣) الأصفهاني : الأغاني ، جـ٢٣ ص١٤١ - ١٤٢ ، ويرجع خوفهم من الفرار بسبب قوله تعالى : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ سورة الأنفال آية (١٦) .

الحين ، وسارع بالرحيل إلى مكة مع من تبقى معه من الأباضية كى يجمع شتات جيشه . ويستعد للقتال المرتقب بعد أن تكون قد وصلته الإمدادات من طالب الحق من اليمن(١) .

كانت جماعة من فلول الأباضية الذين فروا من المعركة قد عادوا إلى المدينة بعد هزيمة جيشهم فى وادى القرى ، وما كاد أهل المدينة يعلمون بهذه الهزيمة حتى تجمعوا مع الموالى والعبيد بزعامة واحد منهم هو عمر ابن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وانقضوا على من وجدوه من الأباضية فى المدينة ، فقتلوا والى الأباضية المفضل ومعظم من معه ، وطاردوا من تبقى منهم حتى لاذوا بالفرار فى الوقت الذى دخل فيه ابن عطية إلى المدينة بعد انتهاء القتال فى وادى القرى(٢) ، فاستقبله أهل المدينة وهم فرحون بما حققوه من نصر(٣) على بقايا الأباضية ، فمكث بينهم شهرًا نظم فيه شئون المدينة وأزال كل أثر لوجود الأباضية بها(٤) .

---

(١) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ، جـ٥ ص١٢١ ، عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ، ص١٢٤

(٢) البلاذرى : انساب الإشراف ن جـ٢ ورقة ٣٨٠ ، خليفة بن خياط : تاريخه ، جـ٢ ص٣٤٠ ، اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ص٣٤٠ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ١ ص٥٣٥

(٣) عبر أهل المدينة عن فرحهم بقولهم شعرًا فى هذه المناسبة فقالوا :

ليت مروان رآنا يوم الاثنين عشيه
إذ غسلنا العار عنا وانتضينا المشرفيه

انظر : ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ، جـ٥ ص١٢٢

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ص٣١٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ص٣٦

ما لبث ابن عطية أن سار بجيشه إلى مكة ، وفيها اشتبك مع أبى حمزة وجيشه فى معركة ضارية هزم فيها الأباضية ، وقتل أبو حمزة فى جماعة من أصحابه كان منهم أبو الحر على بن الحصين ، ووقع فى الأسر عدد آخر ، فى حين فر الباقون ولحقوا بطالب الحق فى اليمن(١) .

فزع طالب الحق لمقتل أصحابه ، وخرج للقاء ابن عطية الذى سار بدوره نحو اليمن بعد أن نجح فى الاستيلاء على الطائف ، والتقى الطرفان فى مكان على الطريق بين مكة وصنعاء(٢) ، وبعد قتال عنيف بين الجيشين هزم طالب الحق وقتل كما قتل معظم جيشه(٣) ، ولم يلبث ابن عطية أن سار إلى اليمن واستطاع التغلب على من بها من الأباضية بعد قتال شديد وأعاد بذلك اليمن للسلطة الأموية(٤) وانتهت بذلك دولة طالب الحق أول دولة نجح الأباضية فى إقامتها فى اليمن والحجاز .

---

(١) البلاذرى : انساب الإشراف ، جـ٢ ورقة ٣٨١ ، خليفة بن خياط : تاريخه ، ص٥٩٦ ، الفاسى : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ص١٧٩

(٢) قيل أن اسم المكان الذى تقابل فيه الجيشان هو تباله وهى تقع فى تهامه على طريق اليمن ، وقيل أنه جرش وهى قرية قريبة من مكه على الطريق إلى اليمن . انظر : ياقوت : معجم البلدان ،جـ٢ ص٩ - ١٠ ، ص١٢٦

(٣) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٣ ص٢٥٨ ، الأصفهانى : الأغانى ، جـ٢٣ ص١٤٧، الفاسى : شفاء الغرام ، ص١٨٠ ، الدرجينى : طبقات المشايخ ، جـ٢ ص٧٠ - ٧١

(٤) البلاذرى : أنساب الأشراف ، جـ٢ ورقة ٣٨١ - ٣٨٢ ، خليفة بن خياط : تاريخه ، ص٥٩٦ - ٥٩٦ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ١ ص١٢٥ ، الدرجينى طبقات المشايخ ، جـ٢ ص٧١ ، سالم السيابى : الحقيقة والمجاز ، ص١١٣

موقف أهل المدينـة من الأباضيـة وأثره فى سقوط دولـة طالب الحق

وإذا كان من وقفة لتقييم أحداث الحركة الأباضية فى المدينة المنـورة ، فإننا نستطيع القول بأن معارضة أهل المدينة ورفضهم للوجـود الأبـاضى فـى مدينتهم كانت عاملاً أساسيًا فى هزيمة الأباضية أمام الجيش الأموى فى وادى القرى وما ترتب على ذلك من هزيمتهم فى مكة وخروجهم من بلاد الحجاز ، وانتهاء أمر دولتهم فى اليمن ؛ فلو أن أهل المدينة تقبلـوا الأباضيـة منـذ بدايـة الأمر وانضموا إليهم واعتنقوا دعوتهم ، مثلما فعل أهل اليمـن وحضـرمـوت ، فمن المؤكد أن الأباضية كان يمكنهم هزيمة الجيش الأموى الذى أرسـل إليهـم من الشام ، وكان يمكنهم البقاء بل وتدعيم دولتهم فى اليمن والحجاز ، خاصـة وأن الدولة الأموية كما أسلفنا كانت تعانى من الضعف والتفكك الشئ الكثير ، ولم يكن فى استطاعتها تجهيز جيش آخر وإرسـاله للقضـاء علـى الأباضيـة ، لأنها فى الفترة التالية ركزت كل قواها لمقاومة الدعوة العباسية التى اسـتفحل أمرها وباتت خطرًا يهدد الأمويين فى المشرق .

ولكن السؤال الذى يفرض نفسه هنا لماذا كان هذا الرفـض القـاطع مـن جانب أهل المدينة للوجود الأباضى ؟ حتى بدا الأمر وكأن أهل المدينة كونـوا من أنفسهم جبهة واحدة ، يجمعها رأى عام واحد ، اتفق على رفض الأباضيـة بل والأصرار على هذا الرفض ، بالخروج إلى قتالهم فى قديد على الرغم من عدم قدرتهم على أمور الحرب والقتال أولا ، ثم بعـدم الاسـتجابه لأبـى حمـزة على الرغم من محاولاته المستمرة للتقرب إليهم وإقناعهم بعداله القضية التـى يدافع عنها ثانيا ، ثم بقضائهم على من كـان بالمدينـة مـن بقايـا الأباضيـة بعـد هزيمة جيشهم فى وادى القرى ثالثًا . بالقطع لم يكن هذا الموقف بدافع الرضا عن الحكم الأموى والرغبة فيه فقد كانت معانـاة أهل المدينـة تحـت ظـل هـذا الحكم معروفة بدليل أن أبا حمزة ما فتـئ يذكرهـم بتلـك المعانـاة فـى خطبـه ،

ويتعجب من موقف أهل المدينة المعارض له ظنًا منه أنهم يرغبون في العودة لحكم الأمويين(١) ، ويسوق الأصفهانى(٢) نصا يتأكد لنا منه أن موقف أهل المدينة المعارض للأباضية لم يكن أبدًا بدافع من رضاهم وحبهم للأمويين ، فيذكر أنه عندما قام أهل المدينة بتتبع الأباضية للقضاء عليهم بعد انتصار الجيش الأموى في وادى القرى وفى لحظة دخول هذا الجيش إلى المدينة يقول الأصفهانى على لسان واحد ممن ينقل عنهم هذه الأحداث " أخبرنى بعض أصحابنا أنه رأى رجلاً واقفًا على سطح يرمى بالحجارة فقيل : ويلك أتدرى من ترمى مع اختلاط الناس ، قال : والله ما أبالى من رميت إنما هو شام وشار ، والله ما أبالى أيهما قتلت " .

وقد أثار موقف أهل المدينة الرافض لأبى حمزة ومن معه من الأباضية اهتمام المؤرخين فأرجعه أحد المستشرقين(٣) ، إلى تشدد أبى حمزة فى معاملة أهل المدينة ، وأمره إياهم باتباع الأوامر والنواهى الدينية والأخلاقية ، حيث عرف عن مجتمع المدينة المنورة فى ذلك الحين حبهم لسماع الغناء ، والأغراق فى اللهو والمجون ، وهذا القول يجانب الحقيقة من ناحيتين ، **أولهما :** تعميم وصف مجتمع المدينة فى ذلك الحين بالمجتمع اللاهى المغرق فى اللهو والمجون وسماع الغناء ، وهذا القول على تزيفه لحقيقة مجتمع المدينة، نجده قد أصبح من الحقائق المسلم بها لدى المؤرخين المحدثين الذين اعتمدوا فيه على رؤية مؤرخى(٤) تاريخ الأدب الذين صوروا مجتمع الحجاز

---

(١) انظر خطب أبى حمزة فى الملاحق .

(٢) الأغانى ، ص٢٣ ، ص١٤٦

(٣) فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص١٠٩

(٤) انظر: طه حسين : حديث الأربعاء ، جـ١ ص٢٤١ ، ٢٩٦ زكى مبارك : حب ابن أبى ربيعه وشعره ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٩١٩م ، ص١٤٨-١٥٠ ، ١٨٧، ١٩٨ ، شوقى ضيف : الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية ، دار المعارف، القاهرة ص٣٦

(مكة والمدينة) بالمجتمع المنحل بسبب سياسة بنى أمية التى عزلت أبناء القرشيين عن شئون السياسة وأغدقت عليهم الأموال وشجعتهم على حياة اللهو ، فقضت بذلك على نفوذهم الدينى ، وبالغ بعض مؤرخى الأباضية المحدثين[١] فرددوا هذا القول وجعلوا مهمة تخليص مكة والمدينة مما شاع بهما من لهو وغناء من الأسباب الهامة التى دفعت الأباضية للاستيلاء على بلاد الحجاز .

ومن السهل على دارس تاريخ المدينة المنورة فى العصر الأموى أن ينقض تلك الإدعاءات ، ليظهر الوجه الصحيح لمجتمع المدينة المنورة ، فإذا كان مؤرخوا الأدب قد استنتجوا أحوال مجتمع المدينة المنورة من دواوين الشعر ومرويات الأدب التى درسوها[٢] فإن دراسة المصادر[٣] التى تترجم للفقهاء والعلماء وغيرهم من رجال المدينة تظهر أن المدينة المنورة رغم انحسار أهميتها السياسية لم تفقد أهميتها الدينية طوال العصر الأموى ، وأنها بسبب ماسادها من أمان وسلام بعد انصراف أهلها عن معارضة الأمويين أصبحت فى الفترة التى نؤرخ لها تزخر بأعداد كبيرة من الفقهاء والعلماء والعابدين[٤] الذين فاق عددهم عدد اللاهين والمغنيين ، ويؤكد ذلك أيضًا تلك

---

(١) مبارك الراشدى : الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، ص٢٨٧ ، صالح الصوافى: من أعلام عمان ص٦١

(٢) اعتمد مؤرخوا الأدب على شعر ابن أبى ربيعه والأحوص الأنصارى وكتاب الأغانى للأصفهانى . انظر طه حسين : حديث الأربعاء جـ١ ص٢٩٦ ، زكى مبارك : حب ابن أبى ربيعه ، ص١٩٨ ، شوقى ضيف: الشعر والغناء فى المدينة ومكة،ص٣٦-٣٧

(٣) انظر على سبيل المثال : طبقات ابن سعد ، وسير أعلام النبلاء للذهبى ، وتهذيب التهذيب لابن حجر .

(٤) محمد أبو زهرة : مالك حياته وعصره وآراؤه، مكتبة الأنجلو، القاهرة ، ص٨٤-٨٥

الحلقات العلمية التى كانت تعقد بساحة المسجد النبوى والتى شهدت الكثير من المناقشات العلمية والفقهية بين هؤلاء العلماء[١] ومن الجدير بالذكر أن تلك الحلقات العلمية لم تكن وقفًا على الخاصة من العلماء والفقهاء فقط ، حيث حرص هؤلاء العلماء على عقد الحلقات العلمية للعامة من أهل المدينة الذين أقبلوا على الجلوس لهؤلاء العلماء يسمعون منهم ويناقشونهم فيما غمض عليهم من أمور دينهم[٢] ، ولاشك أن مدينة تزخر بعدد كبير من العلماء وطلاب العلم ، وتعقد فى مسجدها حلقات علمية يحضرها الخاصة والعامة لهى مدينة يعلوا بها صوت الصلاح على صوت اللهو والغناء .

أما الناحية الثانية فى مجانبة القول السابق للحقيقة فهى القول بأن أهل المدينة عارضوا أبا حمزة بسبب موقفة المتشدد منهم وهذا غير صحيح ، فموقف أهل المدينة المعادى لأبى حمزة حدث قبل استيلاء الأباضية على المدينة ، حيث خرجوا للقتال وأصروا عليه ، رغم المحاولات التى بذلها الأباضية لمنع هذا القتال فى قديد[٣] ، أما بعد استيلاء الأباضية على المدينة فلم تشر المصادر إطلاقًا إلى تشدد أبى حمزة فى معاملة أهل المدينة فى

---

(١) أهم من عاصر تلك الفترة من الفقهاء : محمد بن المنكدر المدنى ت (١٣٠هـ / ٧٤٧م) وابن شهاب الزهرى ت (١٣٥هـ / ٧٥٢م) ، وربيعة الرأى ت (١٣٦هـ / ٧٥٣م) ، ويحيى ابن سعيد الأنصارى ت (١٤٣هـ /٧٦٠م) ، وهشام بن عروة بن الزبير ت (١٤٥هـ / ٧٦٧م) ، ومالك بن أنس ت (١٧٩هـ /٧٩٥م) .

(٢) عن الحلقات التى كانت تعقد فى المسجد النبوى انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، بيروت ، ١٩٦٠م، جـ٢ ص٣٦٨ ، جـ٥ ص ١٣٠-١٣٢ ، ص١٨٨ جـ٦ ، ص٢٥٩، ٢٧٥ ، جـ٧ ص١٦٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت جـ٢ ص٢٨٩

(٣) انظر : خليفة بن خياط : تاريخه ، ص٥٩٢ ، الأصفهانى : الأغانى ، جـ٢٣ ص ١٢٣ - ١٢٤ ، الدرجينى : طبقات المشايخ ، جـ٢ ص٧٥

البداية بل على العكس من ذلك أجمعت المصادر[١] على حسن سيرته فيهم وكفه عنهم حتى مالوا إليه .

أما السبب الحقيقى الذى كان وراء موقف أهل المدينة من الأباضية فيظهر لنا فى إشارة هذه المصادر إلى أن أهل المدينة تركوا معارضة أبى حمزة حتى سمعوه فى إحدى خطبه يقول : " برح الخفاء أين عن بابك نذهب ؟ ، ثم قال : من زنى فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شك فى كفرهما فهو كافر " ، عندئذ تغير أهل المدينة ، فأظهروا الرفض والعداء لأبى حمزة ومن معه ، بل أن اليعقوبى[٢] يشير إلى تشكك أهل المدينة فى إيمان أبى حمزة فاعتبروه ممن لا تجوز الصلاة خلفه فكانوا يصلون خلفة ثم يعيدون صلاتهم .

وواضح من الخطبة أن بها إبهامًا لم يوضحه أبو حمزة ولسنا ندرى هل هذا قصور فى النص الذى نقلته المصادر، أم هو ايجاز من أبى حمزة أخل بقاعدة واضحة جدًا فى المذهب الأباضى ؟ والأمر كما هو فى الخطبة يتعلق بمرتكب الكبيرة ، ومعلوم أن الكفر الذى قصده أبو حمزة والذى يتفق مع قواعد مذهبه هو كفر النعمه وليس كفر الملة الذى نادى به غلاة الخوارج ، وعدل عنه الأباضية وجعلوه كفر نعمه ، ليخففوا من غلواء مبادئهم ويجذبوا لها الأنصار[٣]، ولكننا أمام إجماع المصادر على صدور هذا القول من أبى حمزة لا يسعنا

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٩ ص١٠٩ ، ابن الأثير: الكامل ، جـ٤ ص٣١٥، الأصفهانى : الأغانى : جـ٢٣ ، ص١٣٣ النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢١ ص٥٣٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ص٣٦

(٢) تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٣٤٠

(٣) جاء هذا النص على لسان طالب الحق أيضًا فى إحدى خطبة باليمن . انظر : الأصفهانى: الأغانى ، جـ٢٣ ص١١٥ ، محمد الحريرى : الاتجاهات المذهبية فى اليمن ، ص٢٨ - ٢٩

إنكاره ، وأغلب الظن أن أهل المدينة كانوا يرفضون قول الخوارج جميعًا ولم يفرقوا بين الغلاة والمعتدلين منهم ، فلم يهتم من روى النص بشرح المعنى الذى يقصده أبو حمزه فى خطبته .

ولم يكن نفور أهل المدينة من قول أبى حمزة هذا إلا لأن هذا القول يخالف عقيدة أهل السنة ، فأهل السنة يرون أن الذنوب والمعاصى تمحى بالحد أو بالتوبة ولا يكفر مرتكبها(١) ، ولهذا فإن إجماع أهل المدينة على رفض الأباضية سواء قبل دخولهم المدينة أم بعد سماعهم هذا القول كان فى الحقيقة إجماعًا منهم على رفض الفكر الدينى المتطرف الذى حمله الخوارج الأباضية ووجد فيه أهل المدينة فكرًا غريبًا على عقيدتهم السنية الصحيحة التى تأصلت فى نفوسهم وتلقوها عن آبائهم وأجدادهم الذين أخذوها بدورهم عن رسول الله ﷺ ، وصحابته من بعده ، ثم عن التابعين وتابعى التابعين من علمائهم الذين حافظوا على أصول المذهب السنى نقيًا وخاليًا من الأفكار المتطرفه أو الدخيلة ، حتى أصبح للمدينة المنورة كيانًا فقهيًا متميزًا عرف بمدرسة المدينة الفقهية(٢) كان أساسه السير على منهاج رسول الله ﷺ

---

(١) انظر : قصة المرأة التى رجمت فى حد الزنا فرماها خالد بن الوليد بحجر ، فنضح دمها على وجهه فسبها ، فقال له رسول الله ﷺ : مهلاً يا خالد والذى نفسى بيده لقد تابت توبه لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فصلى عليها ، وجاء نفس المعنى فى قصه ماعز الأسلمى . انظر : مالك بن أنس : الموطأ ، دار العلم ، بيروت ، ص٢٤٢ - ٢٤٥ ، ابن حجر : الإصابة فى تمييز الصحابة ، تحقيق على البجاوى ، مكتبة النهضة المصرية ؛ جـ٥ ، ص٧٠٥

(٢) عن مدرسة المدينة الفقهية انظر : أحمد أمين : ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، جـ٢ ص٢٠٨-٢٠٩ ، محمد أبو زهرة : مالك ، ص٨٤ - ٨٥ ، أبو بكر ميقا : الرأى وأثره فى مدرسة المدينة ، بيروت ١٩٨٥م ، ص١٥٥ - ١٧٧ ، محمد شراب : المدينة فى العصر الأموى ، ص٣٦٠

وصحابته من بعده والقول بما قالوا به والافتاء بما أفتوا به ، وكان أهم ما يميز هذه المدرسة أنه لم يكن بين علمائها وشيوخها صاحب بدعة مثل غيرها من الأمصار ، فكان علماؤها ينفرون من الخروج على الجماعة ، ويعظمون اراقة دماء المسلمين ويعتبرونها ذنبا يفوق كل ذنب ويهتمون بالرد على أهل الأهواء والبدع ، فنجد إمام المدينة وعالمها مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩هـ / ٧١١ - ٧٩٥م)(١) قد أفرد بابا فى كتابه الموطأ تحدث فيه عن إثم الخوارج وما فى لزوم الطاعة من الفضل ، ونفر فيه من استعراض المسلمين وقتلهم واستحلال دمائهم وساق من أحاديث رسول الله ﷺ ما يثبت به كلامه(٢) .

كل هذا كان بمثابة الدرع الواقى الذى تسلح به أهل المدينة وحمى عقولهم وأذهانهم من أية عقائد أو مذاهب أو نحل دخيله على المذهب السنى الذى تأصل فى نفوسهم واحتل المكان الأوحد فى فكرهم ولم يفسح المجال لأى فكر آخر ، وكان ذلك هو السبب الحقيقى لنفور أهل المدينة من الأباضية وعدم تقبل وجودهم .

---

(١) عنه انظر : محمد أبو زهرة : مالك حياته عصره وآراؤه ، ص٢٠ وما بعدها .

(٢) مالك بن أنس : الموطأ ، ص٣٠٩ محمد أبو زهرة : مالك ، ص١١٥ - ١١٧



الملاحـــق

اعتمدنا فى نقل نصوص خطب أبى حمزة على كتاب الأغانى للأصفهانى ، جـ ٢٣ ص ١٣٠ - ١٤٦ فقد وردت الخطب فيه كاملة .

ملحق رقم (١)

دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : يا أهل المدينة سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فأسأتم لعمر الله فيهم القول ، وسألناكم : هل يقتلون بالظن ؟ فقلتم : نعم، وسألناكم : هل يستحلوّن المال الحرام والفرج الحرام ؟ فقلتم : نعم ، فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم فنناشدهم الله أن يتنحوا عنا وعنكم ، وليختار المسلمون لأنفسهم ، فقلتم : لا تفعلون ، فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم نلقاهم ، فإن نظهر نحن وأنتم نأتِ بمن يقم فينا كتاب الله وسنة نبيه ، وإن نظفر نعدل فى أحكامكم ، ونحملكم على سنة نبيكم ، ونقسم فيئكم(١) بينكم ، فأبيتم وقاتلتمونا دونهم فقاتلناكم فأبعدكم الله وأسحقكم يا أهل المدينة ، مررت بكم فى زمان الأحول(٢) هشام بن عبد الملك وقد أصابتكم عاهة فى ثماركم فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم ، فكتب بوضعها عنكم ، فزاد الغنى غنى وزاد الفقير فقرًا . فقلتم: جزاك الله خيرًا فلا جزاه الله خيرًا ولا جزاكم .

---

(١) الفيء : كل مال وصل من المشركين عفوا بغير قتال ، كمال الهدنة والجزية وأعشار متاجرهم والخراج ، ويقسم خمسة أسهم ، يصرف خمسها فى أهل الخمس الذين نص عليهم القرآن وهم سهم للرسول ﷺ ، وسهم لأقربائه وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لأبناء السبيل ، واختلف الفقهاء فى سهم الرسول ﷺ بعد موته ، وذهب الشافعى إلى جواز صرفه فى مصالح المسلمين ، أما أربعه أخماس الفيء ففيه قولان، **أولهما** : أن يقتصر صرفه على أرزاق الجيش ، **وثانيهما** : أن يصرف فى مصالح المسلمين التى يراها الخليفة ويكون منها أرزاق الجيش . انظر: سورة الحشر آية (٧)، الماوردى: الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ م ، ص ١٢٦-١٣٠ .

(٢) كان الخليفة هشام بن عبد الملك أحول العينين . انظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ٩ ص٣٩٦

ملحق رقم (٢)

قال هارون : وأخبرني يحيى بن زكريا : أن أبا حمزة خطب بهذه الخطبة : رقى المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال : تعلموا يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرًا[١] ولا بطرًا ، ولا عبثًا ولا لهوًا ، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ، ولا ثأر قديم نيل منا ، ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت ، وعنف القائل بالحق وقتل القائم بالقسط ، ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسمعنا داعيًا يدعو إلى طاعة الرحمن ، وحكم القرآن ، فأجبنا داعى الله ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجزٍ فى الأرض ، فأقبلنا من قبائل شتى ، النفر منا على بعير واحد ، عليه زادهم وأنفسهم ، ويتعاورون[٢] لحافًا واحدًا قليلون مستضعفون فى الأرض ، فآوانا الله وأيدنا بنصره ، وأصبحنا - والله حميد - بنعمته إخوانًا ، ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم مروان وآل مروان ، شتان لعمر الله ما بين الغى والرشد ، ثم أقبلوا يهرعون ويزفون[٣] ، قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه[٤] ، وغلت بدمائهم مراجله ، وصدق عليهم ظنه ، وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب ، بكل مهند ذى روانق ، فدارت رحانا واستدارت رحاهم ، بضرب يرتاب منه المبطلون، وأنتم يا أهل المدينة ، أن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من

---

(١) أشرًا : بطرا واستكبارًا ، انظر المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، ص١٨

(٢) يتعاورون : يتداولون ، المعجم الوجيز ص٤٤٠

(٣) يزفون : يسرعون ، المرجع نفسه ، ص ٢٨٩

(٤) بجرانه : يقال ألقى فلان على هذا الأمر جرانه يعنى وطن نفسه عليه ، المرجع نفسه، ص١٠٢

عنده أو بأيدينا ، ويشف صدور قوم مؤمنين ، يا أهل المدينة إن أولكم خير أول(١) ، وآخركم شر آخر ، يا أهل المدينة ، الناس منا ونحن منهم إلا مشركا عابد وثن ، أو كافرًا من أهل الكتاب ، أو إمامًا جائرًا ، يا أهل المدينة، من زعم أن الله تعالى كلف نفسًا فوق طاقتها ، أو سألها عما لم يؤتها فهو لله عدو ولنا حرب ، يا أهل المدينة ، أخبرونى عن ثمانية أسهم(٢) فرضها الله تعالى فى كتابه على القوى - على حبه - للضعيف ، فجاء التاسع وليس له منها ولا سهم واحد ، فأخذ جميعها لنفسه ، مكابرًا محاربًا لربه ، ما تقولون فيه وفيمن عاونه على فعله ؟

يا أهل المدينة ، بلغنى أنكم تنتقصون أصحابى ، قلتم : هم شباب أحداث ، وأعراب جفاة ، ويحكم يا أهل المدينة ، وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شبابًا أحداثًا ، شباب والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أقدامهم ، قد باعوا أنفسًا تموت غدًا ، بأنفس لا تموت أبدًا ، قد خلطوا كلالهم بكلالهم(٣) ، وقيام ليلهم بصيام نهارهم ، منحنية أصلابهم على أجزاء القرن ، كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفًا من النار ، وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقًا إلى الجنة ، فلما نظروا إلى السيوف قد انتضيت ، وإلى الرماح قد أشرعت ، وإلى السهام قد فوقت ، وأرعدت

---

(١) يقصد بأولهم المهاجرين الأنصار .

(٢) يقصد مصارف الزكاة الثمانية التى ذكرها الله سبحانه وتعالى بقوله " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم " انظر : سورة التوبة آية (٦٠) .

(٣) كلّ : تعب ، وتعنى أيضًا ضعف ، المعجم الوجيز ، ص٥٣٩ - ٥٤٠ ، وكلالهم أى ضعفهم وتعبهم وتعنى أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا ضعفاء متعبين ورغم ذلك قاموا بالأعمال التى ذكرها .

الكتيبة بصواعق الموت ، استخفوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله ، ولم يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة ، فطوبى لهم وحسن مآب ، فكم من عين فى منقار طائر طالما بكى بها صاحبها من خشية الله ، وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعًا وساجدًا ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله من تقصيرنا ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

ملحق رقم (٣)

قال هارون : وحدثني جدى أبو علقمة قال :

سمعت أبا حمزة على منبر النبى ﷺ يقول : من زنى فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، ومن شك أنه كافر فهو كافر .

برح الخفاء فأين ما بك يُذْهَبُ .

قال هارون : قال جدى : كان أبو حمزة قد أحسن السيرة فى أهل المدينة ، حتى استمال الناس وسمع بعضهم كلامه فى قوله : من زنى فهو كافر .

ملحق رقم (٤)

قال هارون : قال جدى : سمعت أبا حمزة يخطب بالمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل المدينة مالى رأيت رسم الدين فيكم باقيًا ، وآثاره دارسة ؟ لا تقبلون عليه عظة ، ولا تفقهون من أهله حجة ، قد بَلِيت فيكم جدَّتِه ، وانطمست عنكم سُنَّته ، ترون معروفة منكرًا ، والمنكر من غيره معروفًا ، إذ انكشفت لكم العبر ، واوضحت لكم النذر ، عميت عنها أبصاركم، وصمت عنها اسماعكم ، ساهين فى غمرة لاهين فى غفله ، تنبسط قلوبكم للباطل إذا نُشِر ، وتنقبض عن الحق إذا ذُكِر ، مستوحشة من العلم ، مستأنسة بالجهل، كلما وقعت عليها موعظة زادتها عن الحق نفورًا ، تحملون منها فى صدوركم كالحجارة أو اشد قسوة من الحجارة، أو لم تلن لكتاب الله الذى لو أنزل على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله ؟ يا أهل المدينة ما تغنى عنكم صحة أبدانكم إذا سقمت قلوبكم ، وإن الله قد جعل لكل شئ سببًا غالبًا يقاد له، ويطيع أمره ، وجعل القلوب غالبة على الأبدان ، فإذا مالت القلوب ميلاً كانت الأبدان لها تبعًا ، وأن القلوب لا تلين لأهلها إلا بصحتها ، ولا يصححها إلا المعرفة بالله وقوة النية ونفاذ البصيرة، ولو استشعرت تقوى الله قلوبكم لاستعملت بطاعة الله أبدانكم . يا أهل المدينة ، داركم دار الهجرة، ومثوى رسول الله ﷺ : لما نبت[١] به داره ، وضاق به قراراه ، وآذاه الأعداء وتجهمت له ، فنقله (إليكم بل) إلى قوم لعمرى لم يكونوا أمثالكم ، متوازرين[٢] مع الحق على الباطل ، ومختارين للآجل على العاجل ، يصبرون للضراء رجاء ثوابها ، فنصروا الله ، وجاهدوا فى سبيله ، وآووا

---

(١) نَبَا الشيئ نبوًا ، ونَبْوَة : أى لم يستوفى مكانه المناسب له . المعجم الوجيز ، ص٦٠١

(٢) ومصدرها آزر : وآزر الشئ قواه ودعمه . المرجع نفسه ص١٥

رسول الله ﷺ ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معـه ، وآثـروا اللـه علـى أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة ، قال الله تعالى لهـم ولأمثـالهم ولمـن اهتـدى بهداهم : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[١] وأنتم ابناؤهم ومـن بقى من خلفهم ، تتركون أن تقتدوا بهم ، أو تأخذون بسنتهم ، عمـى القلـوب ، صـم الآذان ، اتبعتـم الهـوى ، فـأرداكم عـن الهـدى، وأسـهاكم ، فـلا مواعـظ القرآن تزجركم فتزدجروا ، ولا تعظكـم فتعتـبروا ، ولا توقظكـم فتسـتيقظوا ، لبئـس الخلـف أنتـم مـن قـوم مضـوا قبلكـم ، ماسـرتم بسـيرتهم ، ولا حفظتـم وصيتهـم ، ولا احتذيتـم مثـالهم ، لـو شـقت عنهـم قبورهـم ، فعرضـت عليهـم أعمالكم ، لعجبوا كيف صرف العذاب عنكم .

قال : ثم لعن أقوامًا .

---

(١) سورة الحشر : الآية ٩

ملحق رقم (٥)

قال هارون : وحدثني داود بن عبد الله بن أبى الكرام وأخرج إلى خط ابن فضالة النحوى بهذا الخبر :

أن أبا حمزة بلغه أن أهل المدينة يعيبون أصحابه لحداثة أسنانهم ، وخفة أحلامهم ، فبلغه ذلك عنهم ، فصعد المنبر وعليه كساء غليظ وهو متنكب قوسًا عربية ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ . ثم قال : يا أهل المدينة ، قد بلغتنى مقالتكم فى أصحابى، ولولا معرفتى بضعف رأيكم، وقلة عقولكم ، لأحسنت أدبكم ، ويحكم إن رسول الله أنزل عليه الكتاب ، وبين له فيه السنن، وشرع له فيه الشرائع ، وبين له فيه ما يأتى وما يذر ، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ، ولا يحجم إلا عن أمر الله ، حتى قبضه الله إليه ﷺ ، وقد أدى الذى عليه ، لم يدعكم فى شبهة من أمركم ، ثم قام من بعده أبو بكر فأخذ بسنته ، وقاتل أهل الردة[١] ، وشمر فى أمر الله حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ومغفرته ، ثم ولى من بعده عمر فأخذ بسنة صاحبه وجند الأجناد ، ومصر الأمصار ، وجبى الفئ فقسمه بين أهله ، وشمر عن ساقه ، وحسر عن ذراعه ، وضرب فى الخمر

---

(١) أهل الرده : تسمية أطلقت على عدد من القبائل العربية امتنع بعضها عن دفع الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ ، وتبع بعضها اشخاصًا من قبائلهم ادعوا النبوة ، ورفض الخليفة أبو بكر الصديق التفاهم معهم وصمم على قتالهم فبدأ فى سنة (١١هـ) فى تسيير الجيوش تلو الجيوش لحربهم حتى قضى عليهم فأنتهت بذلك حركة الردة . انظر : خليفة بن خياط : تاريخه ، ص٧٩ - ٩٩

ثمانين(١) ، وقام في شهر رمضان(٢) ، وغزا العدو في بلادهم ، ففتح المدائن والحصون حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته ، ثم ولى من بعده عثمان بن عفان ، فعمل فى ست سنين بسنة صاحبيه ، ثم أحدث أحداثًا أبطل آخر منها أوّلاً فاضطرب حبل الدين بعده ، فطلبها كل امرئ لنفسه ، وأسرّ كل رجل منهم سريرة أظهرها الله وأبداها منهم حتى مضوا على ذلك ، ثم ولى على أبى طالب فلم يبلغ من الحق قصدًا ولم يرفع له منارًا ، ومضى ، ثم ولى معاوية بن أبى سفيان لعَينُ رسول الله ﷺ وابن لعينة ، وجلف من الأعراب ، وبقية من الأحزاب ، ومؤلف طليق(٣) ، فسفك الدم الحرام ، واتخذ عباد الله خولاً(٤) ، ومال الله دولاً ، وبغى دينه عوجًا ودغلاً ، وأحل الفرج الحرام ، وعمل بما يشتهيه حتى مضى لسبيله ، فعل الله به وفعل ، ثم ولى بعده ابنه يزيد ، يزيد الخمور، ويزيد الصقور ، ويزيد الفهود ، ويزيد الصيود ، ويزيد القرود ، فخالف القرآن ، واتبع الكهان ، ونادم القرد ، وعمل بما يشتهيه ، حتى مضى على ذلك ، لعنه الله، وفعل به وفعل . ثم ولى مروان بن الحكم طريد لعين

---

(١) أقام عمر بن الخطاب الحد على شارب الخمر فجلده ثمانين جلده . انظر : مالك بن أنس : الموطأ ، ص٢٤٧ .

(٢) يقصد أن عمر بن الخطاب هو أول من جمع الناس لصلاة القيام (التراويح) في شهر رمضان . انظر : مالك بن أنس : الموطأ ص٩٠ - ٩١ .

(٣) يقصد من الذين أطلقهم الرسول ﷺ وعفى عنهم يوم فتح مكة . انظر ابن هشام : السيرة ، حـ٤ ص٣٢ - ٣٣ ، ٤١

(٤) خولا : خدما وأتباعًا . المعجم الوجيز ، ص٢١٥

رسول الله ﷺ وآله وأبن لعينه(١) ، فاسق فى بطنه وفرجه ، فالعنوه والعنوا آباءه ، ثم تداولها بنو مروان بعده ، أهل بيت اللعنة ، طرداء رسول الله ﷺ، وقوم من الطلقاء ، ليسوا من المهاجرين والأنصار ، ولا التابعين باحسان ، فأكلوا مال الله أكلاً ، ولعبو بدين الله لعبًا ، واتخذوا عباد الله عبيدًا ، ويُورث ذلك الأكبر منهم الأصغر ، فيا لها أمة ما أضيعها وأضعفها ، فالحمد لله رب العالمين ، ثم مضوا على ذلك من أعمالهم ، واستخفافهم بكتاب الله تعالى ، قد نبذوه وراء ظهورهم ، لعنهم الله فالعنوهم كما يستحقون ، وقد ولى منهم عمر بن عبد العزيز فبلغ ولم يكد ، وعجز عن الذى أظهره ، حتى مضى لسبيله - ولم يذكره بخير ولا شر - ثم ولى بعده يزيد بن عبد الملك ، غلام ضعيف سفيه غير مأمون على شئ من أمور المسلمين ، لم يبلغ أشده ، ولم يؤنس رشده ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ فإن آنستم منهم رشدًا فادفعوا إليهم أموالهم ﴾(٢) فأمر أمة محمد فى أحكامها وفروجها ودمائها أعظم من ذلك كله ، وإن كان ذلك عند الله عظيمًا ، مأبون فى بطنه وفرجه ، يشرب الحرام، ويأكل الحرام ، ويلبس الحرام ، ويلبس بردتين(٣) قد حيكتا له وقومتا على أهلهما بألف دينار وأكثر وأقل ، وقد أخذت من غير حلها ، وصرفت فى

---

(١) كان الحكم من أكبر أعداء الرسول ﷺ ، أسلم يوم الفتح ، وقدم الحكم المدينة ثم طرده الرسول ﷺ فعاش فى الطائف ومات بها . انظر : ابن كثير : البداية والنهاية، جـ٨ ص٢٨٠

(٢) سورة النساء : الآية (٦)

(٣) بردتين مفردها بردة : وهى كساء مخطط يلتحف به . المعجم الوجيز ، ص٤٤

غير وجهها ، بعد أن ضربت فيها الابشار(١) ، وحلقت فيها الأشعار ، واستحل ما لم يحل الله لعبد صالح ولا لنبى مرسل ، ثم يجلس حبابه عن يمينه وسلامة(٢) عن شماله ، تغنيانه بمزامير الشيطان ، ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصًا بعينها ، حتى إذا أخذت مأخذها فيه ، وخالطت روحه ولحمه ودمه ، وغلبت سوَرَتها على عقله ، مزّق حُلّته ، ثم التفت إليهما فقال : اتأذنان لى أن أطير ؟ نعم فطِرْ إلى النار ، إلى لعنه الله ونـاره حيث لا يردك الله .

ثم ذكر بنى أمية وأعمالهم وسيرتهم فقال : أصابوا إمرة ضائعة ، وقومًا طغامًا جهالاً ، لايقومون لله بحق ، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ، ويرون أن بنى أمية أرباب لهم ، فملكوا الأمر وتسلطوا فيه تسلط ربوبية ، بطشهم بطش الجبابرة ، يحكمون بالهوى ، ويقتلون على الغضب ، ويأخذون بالظن ، ويعطلون الحدود بالشفاعات ، ويؤمنون الخونة ، ويقصون ذوى الأمانة ، ويأخذون الصدقة فى غير وقتها على غير فرضها ، ويضعونها فى غير موضعها، فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله ، فالعنوهم ، لعنهم الله.

وأما إخواننا من هذه الشيعة فليسوا بأخواننا فى الدين ، لكن سمعت الله عز وجل قال فى كتابه : ﴿ إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا ﴾(٣) شيعة ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله ، لا يرجعون إلى نظر نافذ فى القرآن ، ولا عقل بالغ فى الفقه ، ولا تفتيش عن

---

(١) الأبشار : جمع بشرة بمعنى ظاهر الجلد . المعجم الوجيز . ص٥٢

(٢) حبابة وسلامة مغنيتين من جوارى يزيد بن عبد الملك

(٣) سورة الحجرات : الآية (١٣)

حقيقة الصواب ، قد قلدوا أمرهم أهواءهم ، وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه ، وأطاعوه فى جميع ما يقوله لهم غيًا كان أو رشدًا ، أو ضلالة أو هدى ، وينتظرون الدُول فى رجعة الموتى ، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة ، يدعون علم الغيب لمخلوقين لا يعلم أحدهم ما فى داخل بيته ، بل لا يعلم ماينطوى عليه ثوبه أو يحويه جسمه ، ينقمون المعاصى على أهلها ، ويُعَلِّمون إذا ظهروا بها ولا يعرفون المخرج منها ، جفاة فى الدين ، قليلة عقولهم ، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم ، وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة ، وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ، فأى هؤلاء الفرق يا أهل المدينة تتبعون ؟ أو بأى مذاهبهم تقتدون ؟ وقد بلغنى مقالتكم فى أصحابى ، وما عبتموه من حداثة أسنانهم ، ويحكم ، وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ وآله المذكورون فى الخير إلا أحداثًا شبابًا ؟ (شبابٌ) والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة ، قد نظر الله إليهم فى جوف الليل ، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقًا ، وكلما مر بآية من ذكر النار شهق خوفًا ، كأن زفير جهنم بين أذنيه ، قد أكلت الأرض جباههم وركبهم ، ووصلوا كلال الليل بكلال النهار ، مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام، انضاء عبادة ، موفون بعهد الله ، منتجزون لوعد الله ، قد شروا أنفسهم لله ، حتى إذا التقت الكتيبتان ، وابرقت سيوفها ، وفوقت سهامها ، واشرعت رماحها ، لقوا شَبَا الأسنة ، وشائك السهام ، وظباة السيوف بنحورهم ووجوهم وصدورهم ، فمضى الشاب منهم ، قدمًا حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، واختضبت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر جبينه بالثرى ، وانحطت عليه الطير من السماء ، وتمزقته سباع الأرض ، فكم من

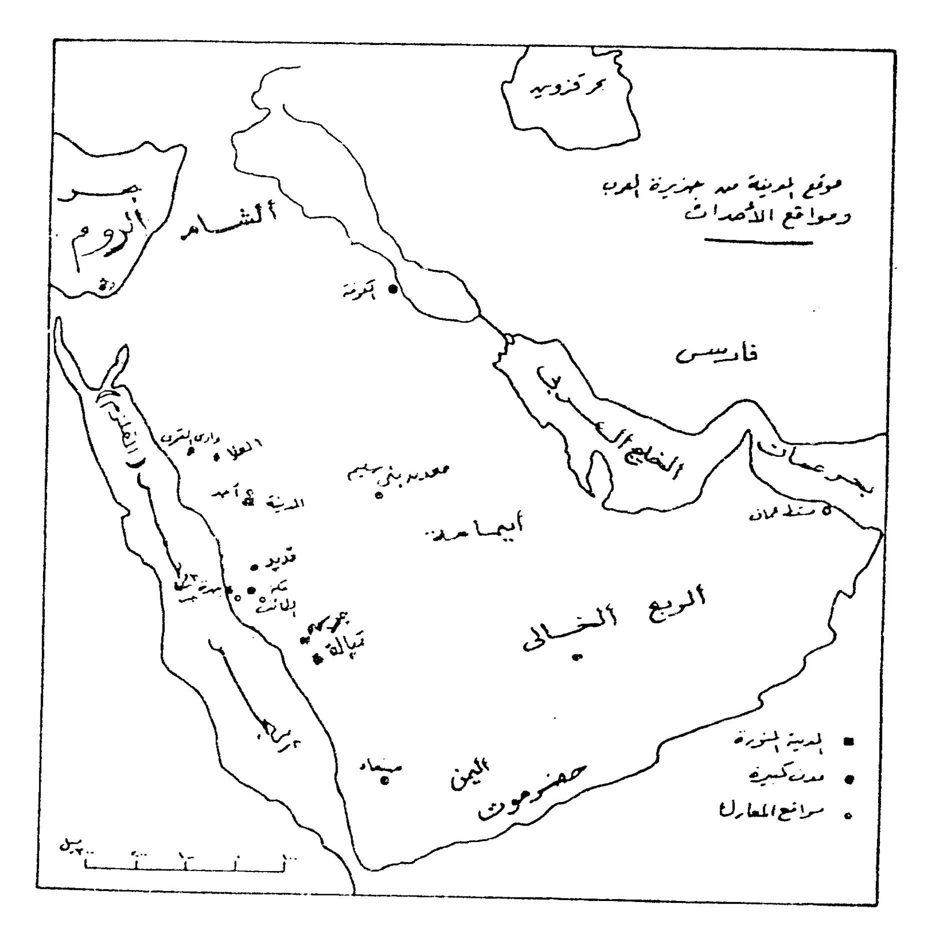
عين فى منقار طائر طالما بكى بها صاحبها فى جوف الليل من خـوف اللـه ؟ وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد ؟

ثم بكى وقال : آه آه على فراق الأخوان ، رحمة الله على تلـك الأبـدان وادخل الله أرواحهم الجنان .

ملحق رقم (٦)

قال هارون : أخبرني موسى بن كثير :

أن أبا حمزة خطب أهل المدينة وودعهم ليخرج إلى الحرب ، فقال : يا أهل المدينة ، إنا خارجون لحرب مروان ، فأن نظهر نعدل في أحكامكم ، ونحملكم على سنة نبيكم ، ونقسم بينكم ، وأن يكن ما تمنون لنا فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .



اعتمدت فى هذه الخريطة على خريطة مدن الجزيرة العربية التى وردت فى الأطلس التاريخى للعالم الإسلامى فى العصور الوسطى ص١٥ للدكتور عبد المنعم ماجد وعلى البنا وأيضًا على خريطة وردت فى كتاب مجتمع المدينة فى عهد الرسول ﷺ ص٢٧٦ لعبد الله بن إدريس.



المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة :

١ - **البلاذرى** : أحمد بن يحيى ت (٢٧٩هـ / ٨٩٢م)
أنساب الأشراف
دار الكتب المصرية رقم ١٤٠١ ٤ تاريخ .

٢ - **الرقيشى** : أحمد بن عبد الله (توفى فى القرن العاشر الهجرى)
مصباح الظلام
دار الكتب المصرية ، رقم ٢٠٥٤٩ ب. .

٣ - **العوتبى** : مسلمة بن الصحارى (توفى فى القرن الخامس الهجرى)
أنساب العرب
دار الكتب المصرية رقم ٢٤٦١ تاريخ .

ثانيًا : المصادر المطبوعة :

٤ - **ابن الأثير** : على بن الكرم محمد بن محمد الشيبانى (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)،
الكامل فى التاريخ
دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٨٠م .

٥ - **الأزدى** : أبو زكريا يزيد بن محمد (٣٣٤هـ / ٩٤٥م)
تاريخ الموصل
تحقيق على حبيبة ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

٦ - **الأشعرى** : أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى (٣٣٠هـ / ٩٤١م)
مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين
تحقيق محى الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

٧ - **الأصفهانى** : أبو الفرج على بن الحسين (ت٣٥٦هـ / ٩٦٦م)
الأغانى
دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م .

٨ - **ابن أعثم** : أبو محمد بن أعثم الكوفى (ت٣٤١هـ / ٩٢٦م)
الفتوح
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦م .

٩ - **البرادى** : أبو القاسم بن إبراهيم (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)
الجواهر المنتقاة
طبعة حجرية ، القاهرة ١٨٨٤م .

١٠ - **البغدادى**: عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)
الفرق بين الفرق .
دار الكتب العلمية ، بيروت .

١١ - **ابن بكار**: الزبير (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)
جمهرة نسب قريش وأخبارها
تحقيق محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ١٣٨١هـ.

١٢ - **الدرجينى**: أبو العباس أحمد بن سعيد (ت ٦٧٠هـ / ١٢٧١م)
طبقات المشايخ بالمغرب
تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجانى ١٩٩٤م .

١٣ - **ابن حجر العسقلانى** : شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على
(ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)
تهذيب التهذيب
حيدر آباد ، ١٣٢٩هـ .

١٤ - ـــــــــــ : الإصابة فى تمييز الصحابة
تحقيق على البجاوى ، دار النهضة المصرية .

١٥ - **ابن أبى الحديد:** عز الدين بن الحميد أبى الحديد (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)
شرح نهج البلاغة
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربى،
بيروت ، ١٩٦٥م .

١٦ - **ابن حزم:** أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)
جمهرة أنساب العرب
دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٧ - **ابن خلكان :** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر
(ت٦٨١هـ / ١٢٨٢م)
وفيات الأعيان وأنباء الزمان
دار صادر ، بيروت .

١٨ - **خليفة بن خياط :** أبو عمرو خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)
تاريخ خليفة بن خياط
تحقيق سهيل زكار ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٦٨م .

١٩ - **الزبيرى :** أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م)
نسب قريش
نشر أ. ليفى بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة .

٢٠ - **أبو زكريا :** يحيى أبى بكر (توفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى)
سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبى زكريا
تحقيق إسماعيل العربى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ،
لبنان ، ١٩٨٢م .

٢١ - **ابن سعد :** محمد بن سعد منيع الزهرى (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)
الطبقات الكبرى
ليدن ، ١٩٠٥م ، وهناك طبعة أخرى بيروت ١٩٦٠م .

٢٢ - **السمهودى :** نور الدين على بن أحمد السمهودى (٩١١هـ/١٥٠٥م)
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى
تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٩٨١م .

٢٣ - **ابن شبه :** أبو زيد عمر بن شبه النميرى البصرى (ت ٢٦٢هـ/٨٧٥م)
تاريخ المدينة المنورة
تحقيق فهيم شلتوت، دار الأصفهانى للطباعة، جدة ، ١٩٧٩م.

٢٤ - **الشماخى :** أحمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م)
كتاب السير
تحقيق أحمد بن سعود السيابى، وزارة التراث، عمان ١٩٩٢م.

٢٥ - **الشهرستانى :** أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر أحمد (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م)
الملل والنحل
تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، مؤسسة الحلبى ، القاهرة.

٢٦ - **ابن طباطبا :** محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا (ت٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)
الفخرى من الآداب السلطانية والدول الإسلامية
دار صادر ، بيروت .

٢٧ - **الطبرى :** أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)
تاريخ الأمم والملوك
دار القلم ، بيروت .

٢٨ - **ابن عبد ربه** : أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ / ٩٤٩م)
العقد الفريد
تعليق أحمد العزباوى ، دار الإمام على القاهرة .
٢٩ - **ابن عساكر** : أبو القاسم على بن الحسين بن هبة الله (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)
تهذيب تاريخ دمشق الكبير
تهذيب عبد القادر بدران ، دار المسيرة، بيروت ، ١٩٧٩م.
٣٠ - **الفاسى** : تقى الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م)
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام
ضمن كتاب تاريخ مكة ، بدون طبعة وتاريخ .
٣١ - **الفاكهى** : أبو عبد الله محمد بن إسحاق
تاريخ مكة
ضمن كتاب تاريخ مكة ، بدون طبعة وتاريخ .
٣٢ - **ابن قتيبة** : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)
عيون الأخبار .
دار الكتب العلمية ، بيروت .
٣٣ - **القلهاتى** : أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدى (توفى فى القرن الرابع الهجرى)
الكشف والبيان
تحقيق سيدة كاشف ، وزارة التراث ، عمان ، ١٩٨٠م .
٣٤ - **ابن كثير** : عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
البداية والنهاية
دار الفكر العربى ، القاهرة .

٣٥ - **مالك** : أبو عبد الله بن أنس الأصحبى (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م)
موطأ الإمام مالك .
برواية محمد بن الحسن الشيبانى
تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار القلم ، بيروت.

٣٦ - **الماوردى** : أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصرى
(ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)
الأحكام السلطانية والولايات الدينية
بيروت ، ١٩٧٨ م .

٣٧ - **المبرد** : أبو العباس محمد بن يزيد (ت٣٨٥هـ / ٩٩٥م)
الكامل فى اللغة والأدب
تعليق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربى .

٣٨ - **المسعودى** : أبو الحسن على بن الحسن بن على (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)
مروج الذهب ومعادن الجوهر
تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت ١٩٧٣م.

٣٩ - **ابن منظور** : أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
لسان العرب
دار المعارف ، القاهرة .

٤٠ - **النويرى** : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)
نهاية الأرب فى فنون الأدب .
تحقيق على البجاوى ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٦م.

٤١ - **ابن هشام** : أبومحمد بن عبدالملك بن هشام المعافرى (ت٢١٨هـ/٨٣٣م)
السيرة النبوية
تحقيق طه عبد الرءوف ، مكتبة الكليات الأزهرية .

٤٢ - **ياقوت** : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموى (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)
معجم البلدان
دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩م .

٤٣ - **يحيى بن الحسين** : بن القاسم بن محمد بن على (ت١١٠٠هـ/١٦٨٩م)
غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى
تحقيق سعيد عاشور، دار الكاتب العربى، القاهرة، ١٩٦٨م.

٤٤ - **اليعقوبى** : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب(ت ٢٨٤هـ/١٨٩٧م)
تاريخ اليعقوبى .
دار بيروت ، ١٩٨٠م.

ثالثا : المراجع العربية والمعربة :

٤٥ - **أحمد أمين** : ضحى الإسلام .
دار الكتاب العربى ، بيروت .

٤٦ - **أبو بكر ميقا** : الرأى وأثره فى مدرسة المدينة
بيروت ، ١٩٨٥م .

٤٧ - **رجب عبد الحليم** : الأباضية فى مصر والمغرب وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة .
مسقط ، ١٩٩٠م .

٤٨ - **الزركلى** : خير الدين .
الأعلام .
دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٨٠م .

٤٩ - **زكى مبارك** : حب ابن أبى ربيعة وشعره
المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٩١٩م .

٥٠ - **سالم الحارثى** : العقود الفضية فى أصول الأباضية
وزارة التراث، عمان ، ١٩٨٣م .

٥١ - **سالم السيابى** : أصدق المناهج فىتمييز الأباضية من الخوارج
تحقيق سيدة كاشف ، وزارة التراث ، عمان .

٥٢ - ________ : الحقيقة والمجاز فىتاريخ الأباضية فىاليمن والحجاز
وزراة التراث ، عمان ، ١٩٨٠م .

٥٣ - ________ : طلقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الأباضى
وزارة التراث ، عمان ، ١٩٨٠م .

٥٤ - **سليمان البارونى** : مختصر تاريخ الأباضية
مكتبة الضامرى ، عمان .

٥٥ - **سيدة كاشف** : عمان فى فجر الإسلام
وزارة التراث ، عمان ، ١٩٨٩م .

٥٦ - **شوقى ضيف** : الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية
دار المعارف ، القاهرة .

٥٧ - **صالح بن أحمد الصوافى** : من أعلام عمان
وزارة التراث ، عمان ، ١٩٩٤م.

٥٨ - ________ : الإمام جابر بن زيد العمانى وآثاره فى الدعوة
وزارة التراث ، عمان ، ١٩٨٩م .

٥٩ - **صفاء حافظ عبد الفتاح** : ضياع بنى أمية فى عصر الخلافة
دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩١م .

٦٠ - **طه حسين** : حديث الأربعاء
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٢٥م .

٦١ - **عصام الدين عبد الرءوف** : اليمن فى ظل الإسلام
دار الفكر العربى، القاهرة ، ١٩٩٤م .

٦٢ - **على الغرابى** : تاريخ الفرق الإسلامية
مكتبة صبيح ، القاهرة .
٦٣ - **على يحيى معمر** : الأباضية فى موكب التاريخ
مكتبة وهبة ، القاهرة، ١٩٦٤م .
٦٤ - **عوض خليفات** : نشأة الحركة الإباضية
القاهرة ، ١٩٧٨م .
٦٥ - **غارديه (لويس)** : أهل الإسلام
ترجمة صلاح برمدا ، دمشق ، ١٩٨١م .
٦٦ - **فلهوزن (يوليوس)**: الخوارج والشيعة
ترجمة عبد الرحمن بدوى ، وكالة المطبوعات ،
القاهرة ، ١٩٧٦م .
٦٧ - **مبارك بن عبد الله الراشدى** : الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة
التميمى وفقهه
عمان ، ١٩٩٢م .
٦٨ - **محمد صابر الحريرى** : الاتجاهات المذهبية فى اليمن حتى نهاية
القرن الثالث الهجرى
دار الصفا ، القاهرة ، ١٩٨٨م .
٦٩ - **محمد أبو زهرة** : مالك حياته وعصره وآراؤه وفقهه
مكتبة الأنجلو ، القاهرة .
٧٠ - ———— : تاريخ المذاهب الإسلامية
دار الفكر العربى ، القاهرة.
٧١ - **محمد شراب** : المدينة فى العصر الأموى
مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ١٩٨٤م .

٧٢ – **محمد عليان** : نشأة الحركة الأباضية فى البصرة ومناقشة دعوى تأسيس جابر بن زيد لها وعلاقتها بالخوارج دار الهداية ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

رابعًا : المراجع الأجنبية :

73. Nicholson, R. A., : ALiterary History of the Arabs, Cambridge.1953 .

خامسًا : المقالات الأجنبية :

74. Lewicki, T., : " Al - Ibadiyya " Ency of Islam, new edition. Vol III. P.648 - 660 .

75. Rubinacci, R. , : " The Ibadis " in Religion in The Middle East, Vol. 2, pp. 302 - 317 .

76. Wilkinson, J. C. : " The Ibadi Imama " B. S. O. A. S., 1976. Vol. 39, pp. 535 - 551 .

77. Ency of Islam, Vol. III, 1930 . First edition " Al - Madina " .

محتويات الكتاب

رقم الإيداع ١٩٩٥/٧٤٥٨
I.S.B.N . 977-00-9482-X

المطبعة الإسلامية الحديثة

٤٢ ش دار السعادة - حلمية الزيتون
القاهرة - ت ٢٤٠٨٥٥٨